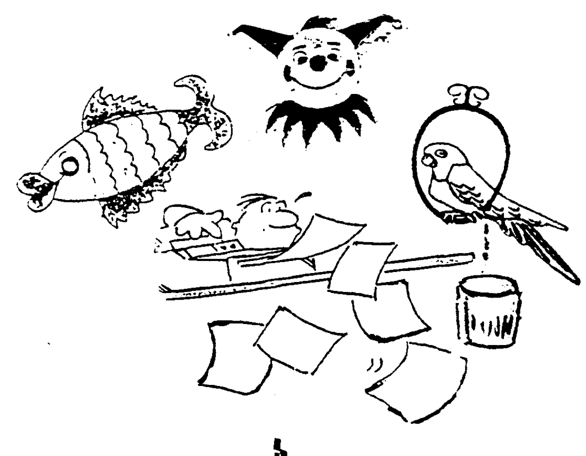


# سمك.. لبن.. شيخ هندي

## الوجه الآخر لحقيقة الأشياء

فانتازيا

عادل القنصل



# سمك .. لبن .. شيخ هندي

## " الوجه الأخر لحقيقة الأشياء "

٢٠٠٥/٥/٥

٢٠٠٥/٨/١

حالة اكتئاب تعتريه .. كتب .. كتب كثير .. عبر عن بلاده من أقصاها إلى أدناها .. كتب عن الفلاحين .. الصعايده .. البـدو .. الثلاثي الذي يمثل المنظومة الأجتماعـيه لشعب مـصر .. كتب .. عن أمالهم .. ألامهم .. تناول أدق الأشياء في حياتهـم .. كـتب بلغته التي يـفرضها عليه منطق ثقافـته .. وأحيانا عفويته .. يختار ألفاظا بعيده عن التعقيدات .. لاحاجه للـقارئ أن يلجـأ للقامـوس الـمحيط أو المصباح الـمنير أو المختار المصحح ..

قوبل بهجوم من طبقة المثقفين على مختلف ثقافاتهم .. اتهموه بالتخلف .. أنه يرتد لمائة عام مضت .. تقليدي .. لـم يساير التقدم أو ما يسمى بالحداثة .. أعماله مهترئه .. يحاول إحيـاء الميت من قبره ليعيده للحياة .. وهل هناك حياه بعـد الموت .. انه يتباسط في أسلوبه .. يحـاول استجداء القراء .. كـسب

الطبقة العـــريضة من أنصاف المثقفين .. رغـــم رضاهم عن أعـــماله والإشـــادة بها .. انـــه يعمل خـــارج مساحـــه الأدب المعروفة .. انه " محكوءتي " لا يعرف غير الحكي .. والحكي مرفوض في مضمون الأدب .. وإذا كان هناك اعترافـــا به .. فـــيكون تـــلك تحت مسمى سابق .. قـــديم كلاسيك يفتقد إلـــى الـــجماهيرية الأدبية المنتـــشرة الآن بين كتاب هـــذا الزمان .. أين هو منهـــم .. هو خارج عن قاموسهم .. فيعد خـــارجاً عن القانون ..

يستشهد بأقـــلام كتاب كبار .. يحاكيهم .. كتاب تربعـــوا على عرش الأدب عشرات السنين .. ارتفعوا بأقلامهم لعـــنان سماء الأدب .. سموهم أدباء .. يوسف السباعي .. يحيى حـــقـــي .. توفيق الحكيم .. ثروت أباظة بالإجماع قالوا كلمتهم .. كانـــوا وكان زمانهم .. وكان يعني انه ماضي .. والماضي لا يستطيع أن يكون امتداد للحاضر ولا يمثل واجهه للمستقـــبل .. ما كان ولا يمكن أن يكون ..

كم تهزه كلماتهم .. نقدهم .. تخيفه دائماً حتى يترك القلم .. لا حق له أن يمسكه .. القلم غريب عنه .. لن يكون سيفاً في يده .. يهرب من بين أصابعه .. ولكنه متمسك بالقلم .. وهو أيضاً

متمسك به .... يقول له .. أنا قلم من حقي أن يكتب بـي .. لا تأبه بكلامهم وتجعلني شيئا هامشياً في حياتك .. أنا حياتك .. ولي .. كما يقولون أن زمن كتاباتك هو أيضاً قد ولى .. أنبهك .. وأعود لأنبهك .. لا تأبه بنقدهم ... لا تستسلم لـغـمزاتهم ولمزاتهم حينما تكون مدعـوا بينهم في لقاء .. يسمونه أدبي .. ويتحدثون في مواجهتك .. كلهم رفعوا سيوفهم لضربك في مقتل .. اغرب عن ساحة أدبنا .. أنت لست منا .. غريب عنا .. بل جسم شاذ يـحاول الدخول في دائرتنا .. بالله عليك ماذا أفعل يا قلمي ..وأنا أختارك من أقل الأقلام كلفه .. لست بشيفر ذهبي السن .. بل أنت لا تتعدى كونك قلم جاف يشترى ببضعه قـروش .. حتى الورق الذي تكتب عليه من الأوراق السابـق استعمالها .. كُتب على وجهها وتكتب أنت على ظهـرها .. لا تتكلف في شكل الكتابة و . أدواتها ... أي قـلم سيكتب طالما أنت تريد أن تكتب .. أي ورق سـيرحب بما تكتب .. حتى لو كان ذلك على صفحات الجرائد .. أو قصاقـيص الورق البالي .. الذي ألقى بها أولادك في سله المهملات .. تلتقـطها وتكتب على ظهرها .. لا يستهويك الورق الأبيض المصقول الناعم .. ولا القلم الممدد في علبه من القطيفه الحمـراء أو الـزرقاء ..

مازال الاكتئاب يسيطر على نفسه .. التي كانت مرحه .. تبدو الآن حزينة .. مقهورة .. منكسرة .. لماذا .. هل نضب قلمك عن كتابه موضوعات جديدة .. وقد كتب بالتقريب في كل شيء .. اجتماع .. تاريخ .. سياسة .. عقيدة .. ماذا سيكتب في المرحلة القادمة وحياتك أكيد في عدد تنازلي .. هل سيعيش بعد الستين .. فلنقل نعم .. كم بعد الستين سيعيش بعد هذه السن .. خمسة .. عشرة ... عشرين .. وليكن .. هل سيستمر عقلك الذي يتأثر كما يتأثر جسدك للتفكير .. بطريقة منطقية .. وقد يفقد الجسد منطقية وجودة بدأت الهداية تسيطر عليه .. بل تتسلط عليه منذ صغره .. كانت محاولاته بسيطة .. كأي كاتب بادئ .. قراءه من الأصحاب .. وقارئة واحدة .. هي حبيبته .. حبيبة صباه .. كانت تهيم في عباراته الرقيقة .. لا كاتب يهز وجدانها إلا هو .. أين هي الحبيبة الآن .. لم تصبح زوجته .. كان يكبرها بخمسة أعوام .. أحبها وهو في بداية المرحلة الثانوية ... كانت تجمعهما أغاني أم كلثوم .. خاصة أمل حياتي .. يناما على شدوها ويستيقظان على كلمات حب أغانيها .

يشتاق إلى رؤياها .. لا يعرف شيئاً عنها منذ أن هجر مدينته الصغيرة ليعيش في القاهرة .. تمنى لو رآها لمجرد لحظه ..

مهما كان تأثير الزمان على وجهها الجميل .. حتى يترك آثاره التي تؤكد أن الحياة تسير .. والزمن يمر ومهما كانت قسوته يعيش الإنسان .

عندما عُين في وظيفة في أحدى شركات القطاع العام بالعاصمة .. وقراءة من زملاء الوظيفة .. منهم من يتطبب ما يكتبه . ومنهم منَ ينافقه ... النفاق بدا واضحاً عندما أصبح مديراً لأحد فروع تلك الشركة بعيداً عن العاصمة .. تنقل من بلاد عديدة من قبلي إلى بحري .. هذا ما دفعه للكتابة عن كل مكان يزوره .. في خاطر أو قصه قصيرة أو رواية .. أحب الناس وأحبوه .. كتب عنهم بحب .. لم ير إلا سلوكهم الطيب . لم ير الوجه الآخر لحقيقة الأشياء .. لم يكن يفكر يوماً في هذا الأمر .. فالحياة حقيقة واحدة .. جميلة لا يشوبها سلوك الإنسانية الشائك .. لا يرى قبحاً .. كل شيء جميل .. بل كل شيء عام في الحياة والعمل .

الكتابة قدره .. لا يستطيع الهروب منه .. قدر جميل .. قدر سيئ .. لكنه قدر تسلط على كل حواسه .. فبدا دائماً أمام الجميع .. كعصفور يغرد على شجرة الحياة .. يلتمس الأعذار لكن مخطئ .. الحياة العامة .. وعلى مستوى الوظيفة خاصة .. الموظف الذي يكون تحت رأسته .. معذور .. مهما كانت

أخطاءه .. كبرت أم صغـرت .. يجد له مخرجاً في التحقيقات التي يقع فريسة لها .. عبارته دائماً " الموظف غلبان .. كفاية حمل أهله اللي بيشيله غصب عنه " ..

كلماته تبدو أحياناً دافئة .. شاعرية .. تُعجب زوجته تقول إليه:

- الله جميل أوي .

وقبل أن يكمل ما كتبه ليتلوه عليها .. يجدها قـد نامت .. يشعر بغضب شديد .. يترك المكان وينهض .. عندمـــا تصحو مـــن نومها يلومهـــا .. تقول وهي تتثاءب :-

- أصل كلامك زى البلسم .. ما بقــــدرش أقاومه .. وصوتك الدافي عامل زى حكايات ألف ليلـــة وليلة .. الواحد ينام عليها على طول .

بناته وأولاده .. دائماً يشجعونه .. يقولون :-

- إحنا ماقرناش أجمل من كده يا بابا .

وســـرعـــان ما ينصرفوا من أمامه .. هل يقولون الحقيقة ..أم يجاملونه أم ينافـــقـــونه حـــياته تسير على وتيرة واحده .. هو راضي عـــنها .. وهم أيضاً راضون عـــنها .. عندما تزوجوا وتركوا البيت أحس بفراغ كبير .. كان يظن أن زوجته ستملأ ذلك الفراغ .. ولكن الكبر عبر .. فيغلب عليها النعـــاس دائماً

بعد أن تصلي العشاء .. فيجلس وحده سجين أركان البيت .. ينهض .. يجلس .. يشاهد .. التلفاز .. يكتب .. يمزق الأوراق التي كتبها .. انه بالفعل يشعر باكتئاب .. شعر انه لم يقدم شيئا لكتاباته .. هو دائماً غير راضٍ عنها كحال النقاد .. لا يقدم إلا صوراً ايجابية لجوانب الحياة .. وترك الجوانب السلبية والمتناقضات التي تملأ حياتنا .. آلا يراها ..

زادت حاله الاكتئاب .. أشار عليه صديقة بالتوجه إلى طبيب نفساني .. يعرض عليه حالته يجلس على " الشيزلونج " يفضفض .. يضحك .. يبكي .. يخرج أمامه ما لا يستطيع أخراجه أمام الناس .. بل قد أمام نفسه .

رفض الفكرة في بادئ الأمر .. ثم توجه سراً .. نفذ أوامر الطبيب .. حكى .. تكلم شعر بارتياح شديد .. سأله الطبيب عدة أسئلة .. طبعاً بداية من طفولته حتى اقترابه من سن الشيخوخة الذي تطارده أشباحه .

في طفولته أشياء ليس لها دلالات .. أدرك في كبره أن دلالاتها تحتاج إلى وقفه .. الألوان .. يفضل اللون اللبني والبيج .. لا يفضل الألوان الداكنة .. قال الطبيب انه مقبل على الحياة يعني " الحياة لونها بمبي " وإن كان لا يفضل هذا اللون .. فهو لون فستان زفاف زوجته .. كان يتمنى أن ترتدي فستاناً أبيضاً ..

حدثت خلافات بينهما لعـــدم اشتراكهــما في أشياء كــثيرة .. ولكنهـــما أحبا بعضهـــما .. هي زوجه مثاليه .. مخــلصه .. متفانية .. المودة والرحمة والسكنى تظل حياتهـــا .. بارك الله زواجهما وبـــارك في ذريتهـــما .. الابنة الكبيرة متزوجة من ضابط شرطة .. وأبنه الطبيب متزوج من طبيبة .. لم يعصيا أمر لأبيهـــما أو أمـــهما .. لم يثقلا عليه في طلبات الزواج .. اعتمدوا على أنفسهما في حياتهما .. لم يتعرض لمأساة الدروس الـــخصوصية .. دون إرهاق للأبـــويـــن .

الزوجة العاملة .. حريصة على بيتها وتربية أولادها .. أحياناً تقصر .. رغماً عنها .. وتحاول في سرعـــة إصلاح ما أفسدته وظيفتها في حياتها الزوجية ..

تكررت الجلسات ... كل مره يربط بين الأشياء ودلالاتهـــا ... روائح الزهور التي تذكره بحديقة فيلا خالته .. رائحة الطعـــام تذكره بعصاري رمضان وهو يلعب في الشارع انتظاراً لمدفع الإفطار .. الفـــصول الأربعة لها دلالتها .. الـــصيـــف يذكره باللـــعـــب وعـــدم المبالاة .. صيد " أبو المقصى " في الحديقة العامة المواجهة لبيتهم .. غـــطاء زجاجات المثلجات الملتصق بالا سفلت عندما تلهبه حرارة الشمس .. أوراق علب السجائر

التي يصنع منها أحزمه .. مجله سمير وميكي .. الحرية المطلقة في طفولة بريئة وأحياناً مستهترة ...

الخريف .. والجوافة والبلح .. رائحة الكتب المدرسية والكراسات .. لوازم التجليد من شفاف " وازاز " .. الحذاء الجلدي الجديد الصنف .. الشراب الأبيض الذي يتسخ بعد اليوم الأول من الدراسة .. رائحة أدراج المدرسة المداد الأسود والأحمر .. حتى الروائح الكريهة .. رائحة المجاري التي تطفو على أرض فناء المدرسة .. الصنابير الصدئة .. رائحة الطباشير الذي يجعله يسعل .. رائحة يوم الخميس والجمعة .. " القُلة " التي يضعونها على الكره الشراب .. رائحة يوم السبت .. صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد يوم السبت مساءاً .. الواجب المدرسي ..

يفسر الدكتور تلك الدلالات على أنها بعضها طبيعي وبعضها له خصوصيته التي دفعته للكتابة بإحساس مرهف .. فيعود ويكرر أشياء الشتاء .. رائحة البرتقال واليوسف .. رائحة الأمطار حينما تتساقط على أرض أسفلية أو ترابية وعلى الأشجار .. ثم يراجع أشياء الربيع من زهور متنوعة الألوان والروائح وفاكهة الخوخ والمشمش وشم النسيم وفطائره التي

يغرس فيها البيض الملون .. ألوان البيض بروائحها المميزة .. الملانه بمذاقها الخاص .. نواه المشمش التي تصنع منها جدته " الدُقة " واستوحها في العاب النسيجة . أشياء لها دلالات في أشكالها وروائحها .. أشياء كثيرة لا تعد ولا تحصى .. ترتبط ارتباط شرطياً " حسب نظريات علم النفس " مع الأيام والمواقف والذكريات لتكون نسيج شخصية الإنسان ..

يتذكر فيلمً أم رتيبة" والارتباطات الشرطية لدى الممثل "فؤاد شفيق" عندما كان يثير أحد غيظه بتذكر أشياء لها دلالات عنده مثل " أم قويق – ترومايرقم ٥ .. رأس العبد أما صاحبنا الكاتب فيثار عندما يشتم " البطاطا المشوية وفطيرة السدره وأصبع الرجل الصغير " فأصبع الرجل الصغير مفلطح بشكل ملفت للنظر .. مما يستتبع معه تفصيل أحذية مقاس خاص حتى لا تضغط على ذلك الأصبع وأشياء كثيرة أخرى .

كتب الطبيب تقريره ومفاده انه من ناحية الصحة النفسية .. رجل متزن ومتوازن .. وما يؤرقه يؤرق كثيرين غيره بطريقة طبيعية وأن بدت غير طبيعية فهي علامات تشير إلى العبقرية .. وقد بدا ذلك في كتاباته وتناوله لقضايا كثيرة وحساسة . تمس أدق خصائص الكائن البشري من خلال حركته الأجتماعيه ..

ضحك كثيراً وأطمئن على نفسه وذهب إلى بيته وأمسك بالورقة والقلم وحاول أن يكتب فلم يستطع ..

وضع رأسه بين يديه .. ماذا يفعل ولا يوجد ما يشغله في الحياة بعد أن أحيل للمعاش ..رفض وظيفة استشاري في الشركة التي كان يعمل بها براتب كبير بعد أن خصخصت ولكنه رفض .. رفض الماضي بما فيه من قبح وجمال ومسئوليات جسام وذكريات حلوه وذكريات مؤلمه .. لا يريد أن يرجع الزمن به إلى الوراء إلا عندما تداعبه ذكريات الطفولة الناعمة .. وخاصة بيت جدته في المدينة الصغيرة .. عندما كان ينبهر بالشراعة الزجاج على باب المنزل .. وقد صنعت من زجاج معشق متعدد الألوان .. يبعثر تلك الألوان ضوء الشمس على أرض البيت الخشبية .. كثير من تلك الأمور تسعده بدلالتها وأيضا كثيراً منها تجعله يشعر بالشقاء .

عاد إلى صديقه .. فهو الوحيد الذي يفهم شخصيته .. هو أيضا كاتب .. ولكن تخصصه في الكتابة التاريخية .. يحب الأدب من خلال أعماله صديقه فقط . ودائما يمدحه .. أخبره أن مشوار الصبا وأن كان جعله يشعر بارتياح في أمور معينه ..

إلا أن شيء في صدره يخيفه من المستقبل .. وكلاهما تجاوز الستين من عمره .. فضحك الصديق وأشار عليه قائلا :-

- ما فيش غير الشيخ الهندي .. بيقولوا أيده بركه ومرايته عاكسه للشخصية ..
- ضحك وقال :
- أهو ده اللي كان ناقص .. صحيح أنا ما كتبتش عن المشايخ أو الدجل والشعوذة لكن أهي تجربه .. بس ليه هندي ؟!

قال إليه انه يسمع من جيرانه في حي الحسين .. أن جده حضر إلى مصر مع تجار من باكستان وأفغانستان لبيع السجاد في الحسين منذ مائه عام .. وأسلم الجد وتزوج من مصرية .. والحفيد أصبح شيخاً .. يجمع ما بين عالم السحر الهندي البوذي .. وبين السحر المصري الفرعوني. وافق .. في حماس غير مسبوق .. أعد نفسه هو وصديقه وذهبا إلى الشيخ الهندي في مقابر " المجاورين " حيث يقيم.. دخلا عليه في حجره معبأة ببخور رائحته نفاذه .. وهي عبارة عن حوش مدافن به ثلاثة مقابر مكتوب عليها أسماء المتوفيين بالعربي وبلغه أشبه بالرموز فسأل الرجل الذي يجلس على كرسي وأمامه منضده صغيره .. ويقوم بعمل

النضورجي .. فأجابه إنها اللغة الهندية .. ثم حجز له دوره ودفع الفيزيته " خمسين جنيهاً " وكأنها عيادة طبيب .
الــزوار مــن مــختلف الأعمار ومن الجنسيين ويبدو أن الأعــراض الــمزمنة تُــذكر في المشاكل الزوجية .. من ضعف جنسي وكيد نساء وسحر وربط والعلاج دائمــاً في الحجاب .. وقــد حــل عــليه الدور وطرق الباب .. ليجد الشيخ الهندي له شكل مختلف عن المشايخ المصــريين .. فلا آية قرآنيه ولا حديث شريف معلق على الحائط .. بــل طلاسم باللغة الهندية .. أو ما يعتقد أنها لغة هندية .. ممــا يعني انه يستخدم السحر الهندي في الأجواء المصريــة .. فكل مستور وله قيمه عند المصريين ومحل ثقة لا حدود لها .
وكان مطلبه بعد أن سمع شكواه .. أغرب من الخيــال .. فطلب منه إحضار نصف لتر لبن عصفور في وعاء خشبي مكسور .. وخمسه كــيلو جرامات من سمك الــكرات .. نصف الكميه .. عور العين الشمال والنصف الأخــر عور العين اليمين .. على أن يكون متجمعين في قفص تيــن .
ضحك في نفسه وقال للشيخ :
- واجبهم منين دول يا مولانا .
وكانت إجابة الشيخ الجاهزة الفورية :

- سيب الموضوع ده عليا .. وأدفع ثمنهم من النقدية .. ألفين جنيه .. فلوس جديدة ومكوية .

خرج من عنده وتأكدت ظنونه عن الدجل والدجالين .. ولام صديقه الذي أوقعه في ذلك المأزق .

خرج من المقابلة وهو منشرح الصدر على عكس ما كان يتوقع .. وأدرك .. بل أيقن أن ما يصيب الإنسان من أمراض لا يعالجها إلا صاحب المرض بذاته بعد اللجوء إلى **الله** .

وبدأ يكتب روايته .. التي أسماها " سمك .. لبن .. تمر هندي " ثم عدل الاسم الأخير ليكون " شيخ هندي " . وقرر أن يكتب في روايته الجانب الآخر للأشياء .. كتب عن الخير .. فليكتب عن الشر .. كتب عن الفضيلة فل يكتب عن الرزيلة .. أي أنه قرر أن يكتب عكس ما سبق كتابته ذاكراً الوجه القبيح للأشياء بعد أن أصبحت الألفية الجديدة أرض خصبه لكل ما هو فاسد .. وحاقد وحاسد .

**الجار** .. " الجار ولو جار " مقولة ومثل يرجع إلى ديننا الحنيف .. فقد أوصى

الرســــول " صلى الله عــليه وسلـــم " بالجار .. و من تــكرار توصياتـــه بحسن الــجوار .. ظـــن الصحابة أن الجار ســيــورثـــه .

يسكن في الدور قبل الأخير .. والجار الذي يسكن بجانبـــه .. دائماً يؤرقه .. فيترك قمامته أمام الباب حتى يحــضـــر جـــامع القمامة لـــرفعها .. وقمامته يهف عليها الــذبـــاب ورائحتها لا تطاق .. نبهه أكثر من مره والجار يصرخ في وجهه ويقول :-

- أمال أحطها فين .. فوق دماغي .

أمـــا الجار الذي يعلوه .. ويسكن الشقة رقم ٢٠ .. وكـــأن عفاريت تبرطع فوق أرضية حجرات بيته .. لا تجعله ينام ليلاً ولا نهاراً .. وعندما أخبره بما يؤرقه .. فما كان مـــن الجار إلا وقال :-

- هـــو أنت عشان مـــا بتخلفش وما عندكش عيال .. عـــايز تقيد حـــرية الـــعيال كمان في الحركة .. ده بيتي وأنـــا حرفيه .. و بطل قر يا جاري العزيز ..

العجب .. كل العجب .. أنهما يشاركانه فروض الصـــلاة جماعه في المسجد المتاخم للبيت .. وكلا منهما قـــد أستن سنه رســـول الله عـــليه الصلاة والسلام وأطلق لحيته ولا

يترك السبحة من يده اليمنى ولا السواك من يده اليسرى .. يجلسان و يدعوان ربهما بأن ينصر الله دينه ضد أعدائه و يهدي الله المسلمين .. وهما أعداء الله من المنافقين .. البعيدان عن جوهر الدين .. فلما لامهما وقال لهما :-

- يا جماعه الدين المعاملة .. والجار له حقوق .

فما كان منهما إلا و نهراه .. قبل أن يخرجا من المسجد .. و أرتفع صوتهما بين المصلين وقالا له :-

- إن ما كنش عاجبك عزل و ريح نفسك وريحنا .. مش كفاية إننا سمحنالك تصلي معانا و أنت غير ملتحي ؟!

**الفساد** .. سوس ينخر في عظام كل من تولى أمر الرعية .. من كبير لصغير .. تذكر الرجل أنه لا يستطيع أن ينجز مصلحة خاصة به .. إلا و دفع .. الإتاوة .. الرشوة .. الوهبة .. مسميات كثيرة للمقابل .. خدمات يقدمها موظفون صغار .. يتقاضون

مــرتباتهم مــن الدولة .. حجتهم دائماً أن المرتب لا يكفي .. و الــدولــة تــعلم ذلك جيداً .. و كــأنــهــا أعطتهم الــضوء الأخضــر لتطبيق سياســات هذا الزمان " سياسة الــدرج المفتوح .. سياسة أكمال المرتب .. " يــريدون أن يأكــلوا و يشربــوا و يــسكنوا .. هــذا أقــل متطلبــات الحياة .. لأقل إنسان .. لــكن الطمع ســرعان مــا يستبد بهم و يــزداد طموحهم .. فيدفعون هــم الآخرين للــكبار ليتولوا وظــائف حساســة .. فتأشيرة الــحصول عــليها معروف .. حــتى الآن .. عشرة آلاف و يزداد المبلغ كلما كانت الوظيفة أكثر شبهة لــلحصول على الــمال .. فــلم يكتــفوا بمتطلبات الحياة الضرورية .. يأملون الــسكن في الأبــراج .. واقــتنــاء الشاليهات في المصايف .. وسيارة أحــدث مــوديــل .. وتعليم الأولاد في مدارس أجنبية .. و الــصغير ينظر إلــى الكــبير و يعده مثلــه الأعلى .. فــأصبح الكبير من تلك الــمُثل يعلــم الصغير الذي يقوم بدوره بإرشاد الأصغر و توعيته إلى أن بلدنا أصبحت غنية .. ومن يفوته الدور في هذه الأيام لــن يعــود يحلم به .. فــالكل يتسلط على الكل .. و كــونهم محسوبين في تعداد السكان .. أنهم من سكان هذا المكان .. فــأصبح استغلال

المواطن للمواطن .. سمة هذا الـزمان .. فالكل فاسد بقدر .. والصلاح .. حينما يشاء القدر .

المرأة .. هذا الـمخلوق الـجميل .. نسجت فـيه الأشعار والـمواويل وطالما أنت بعيد عن المرأة ولا تقترب لها جسديـاً .. فهي الحلم .. والقمر والهلال والنجم .. بعيدة بعد الخيال .. قل يتخيلها كل ما شاء بما شاء .. هـي ملاك طاهر .. عفة وشفافية .. هي كل شئ جميل في الحياة ما قبلها ومـا بعدهـا.

لـم يكن له خبرة أو تجربة مـع الـنساء .. لم يتزوج ولم ينجب .. يـراها من بعيد .. لا يقترب منهـا إلا إذا دعت الضرورة .. هو .. يوقن أنهن مختلفات مهما كن متشابهات .. بيضاء .. شقراء .. خمرية .. سمراء .. نحيفة .. بدينة .. هيفاء القد .. مفرطة في البدانة .. متبرجة .. متزمتة .. ملتزمة .. متدينة .. ترتدي حجاب .. تحجب شعرها .. قد يكون جميلاً مسترسلاً .. فتخشى الفتنة .. تغطية .. أوقـد يكون أشعث .. أغبر .. فتداريه ثـم فكر لحظه .. وأدرك أنها ليست ببعيدة عنه .. هي .. أمه وجدته .. وشقيقته ..

لم يفكر يوما أنهن من النساء .. هم مجرد أشياء في حياته .. تمثل لـــه قيم مختلفة حسب علاقته بها .. إنهن نساء .. ألا يدرك ؟!

في منطقة بسيطة .. قصد صديق له .. عند عبوره الطريق رأى مشـــادة كـــلامية تحدث بين سيدتين .. إحداهما تبيع الليمون على ناصية الطريق .. امرأة سقيمة .. و الأولـــى فتاه تبيع في بوتيك .. قالت بائعة الليمون :-

- انتي فاكره نفسك إيه .. برنسيسة زمانك ..هما كـــل اللي لبسوا الآفرنكا و حطو الأبيض والأحمـــر .. يبقوا حريم .. على رأي المثل من بره هلا هلا و مـــن جوه يعلم الله .

ردت عليها الفتاه و قـــالت:-

- أنا يا ولية .. ده أنتي ريحتك يعلم بيها ربنا وطالعة من تحت هدومك المعفنة ..

أصابته تلك العبارات بصدمة .. أهـــؤلاء إناث .. حقا إن الفتاة جميلة .. وبائعة الليمون قتمة .. ولكن ماذا تقصد "أن من جوه يعلم الله" ماذا بداخل تلك الفتاة يثير الاشمئزاز من أمرآة مثلهـــا .. إنها مجرد مشاجرة أو مشادة كلامية .. و لكن الكلمات التي خرجت من أفواههم تعني شئ أخر .. غير ما كان يتصور أو

يعتقد .. كانت تثيره أحياناً الفتيات بالجامعة .. حينمـــا يتبخترن بزينتهن و عطرهن الذي يثير غريزته أحياناً .. لم يقترب من أحداهن .. ولم يسبق له أن تحدث مع أي منهن .. لكن .. ما هو سر المرآة .. سر جمالها .. أنوثتها .. نظافتها .

توقف لحظة أخرى عند المرآة كمخلوق بشري .. لـــه صفاته البيولوجية والفسيولوجية .. و مـــا يستتبع الأمر من تعرضها لهجوم مـــن الجراثيم و البكتريا .. فتجد مناخاً طيبا لتعيش بين كل ملتصقين في جسدهما .. كالأصابع و الـــقدمين و الإبطين .. و هناك فتحات يدخل بها أشياء و أخرى يخرج منها أشيـــاء .. قـــد تكون تلك الأشياء كريهة في حـــد ذاتها .... مثل أكل الفسيخ .. ماذا يترك من أثر في الفم والمعدة و في التخلص من فضلاته ؟!

لـــم يفكر يـــومـــاً في كونها مخلوق كهذا .. تحكمه بيولوجية وفسيولوجية ..هل هذه هي المرآة التي يحلق من أجلها الشعراء و الكتاب في عالم الخيال .. ألم يفكروا في ذلك الأمر .. يقول بعضهم رأيتها تنام كالملاك الحالم .. ألم يروها و هي تغط في نوم عميق .. والغطيط المقزز يقطع كذات السكون في المكان؟! الرجل كذلك .. مخلوق تحكمه بيولوجية و فسيولوجية .. لـــكن لم يكتب في الرجل شعراً وصفيا .. يصف مكونـــات جسده ..

بعكس المرأة .. أو تعدد صفاته .. الرجل مسموح له أن يحاكي كينونته مهما كانت النتائج غير مرضية .. ولكن المرأة تحاسب عـلى كـل صغيرة و كبيرة .. كانت أمه تؤنب شقيقته عندما يصدر منها مـن فمها صـوت أثناء تناول الـطعام " تكريع " وتقول لها :-

- أوعـي تعملي كـده تـانـي .. أمال لـو قعدتي قدام جوزك وعملتي كده .. تفتكري هيرضى يقرب منك .. عـيب يـا بنتي .

حرمت على شقيقته أشياء كثيرة .. قد تبدو عادية لو صـدرت منه .. لكن .. البنت .. لا و ألف لا .. أنها أنثى .. تصرفاتها محسوبة عليها قد تجعل الرجل أكثر تعلقاً لها أو أكثر تقززاً . لـم تـلـمه أبـداً عـلى ما يصدر منه استجابة لطبيعة تكوينه الـجسماني .. بـل أنها تـلح على النظافة و الاستحمام لها و لأبنتها .. مـا هـذا العالم الـغريب . الأيام تمر .. ووظيفته كـطبيب تحليل تحتم عـليه فـحص مـخلفات جسم الإنـسان الـعجيب .. وكـلما أكـتشف مرضاً .. يشعر بالأرق .. ماذا لـو فـكر فـي الزواج و هو قد تخطى الأربعين من عمرة .. مـاذا لـو كـانت الزوجة ..إذا ما فكر في الزواج .. مريضة بـأحد تـلك الأمراض العصرية .. التي أكتشفها العالم مؤخراً

.. إن الإنســان يحمل أمـراضاً تكاد تزيد عن وزنه .. أورام .. أمــراض دم أمــراض مــستعصية لــم تــكتشف بــعد .. فــأصبحت الــمرأة بــالنسبة إليه حالة .. تستحق الفحص قبل الأقــدام عــلى الاقتران بها .. يالها من مشكلة .. بل يالها من مصيبة .. أمة تلح علية أن يتزوج قبل أن تفارق الحياة .. من سـيتولــى أمــرة بعدهــا ؟!

يــقول لها دائما أنــا عرفت قبل أن أكون طبيباً .. و أنا ادرس الأحــياء في الثانوية العامة .. إن مكونات الإنسان البيولوجية و الــفسيولوجية حكاية مليئة بالأسرار تصده عن الاقتراب من الجنس الأخر .. وأحياناً تصده عن نفسه عندما يتجرد من كونه إنسان له قيمة معنوية .. إلى حالة الإنسان الحيوية والعضوية. " اللــي يخاف من العفريت يطلع له " هكذا قال عندما اختارت امة زوجة من سن مناسبة .. فتاة في الثلاثينيات .. تعد رسالة ماجستير في الفلسفة .. خاصة في فرع " الجمال " كأحد فروع ذلك الــعلم .. مما جعلها لا تفكر في الزواج قــبل الانتهاء من رســالتها .. تــوافق على الاقتران برجل صاحب فكر يناسبها .. وكونه طبيباً ماهراً في مجاله .. فلا مانع .. مع موافقته على أن تــكمل رســالــة الــدكتوراه .

وافق عليها من منطق التكافؤ العقلي .. لم يفكر كإنسان يتحرك من خلال بيولوجية و فسيولوجية .

همست امة في أذنه .. قالت :-

- يـا بني الست عليها حمل غير الراجل .. وظيفتها كـست بيت بتخليهـا في مواقف مايرضاش عنها الـزوج .. خـصوصاً وآنا عارفة اللي في دماغك ..عشان كده إياك والـمباغتة .. لا تباغت زوجتك و هـي تـطهو الـطعام .. فقد تكون غير مستعدة للقائك و تجد فيها ما لا يسرك .. وإياك تقرب منها وهـي نـائمة وتعبانـه من شقا اليوم .. الست لما بتتعب بتحب تسترخي .. الاسترخاء بتبقى فيه على طبيعتها .. و يمكن ما تلاقيش وقت عشان تاخد فيه دوش .. مفهوم يابني .

ثم همست في أذن زوجته وقالت لها :-

- أياكي تنسي الاهتمام بنفسك .. من أصغر حته في جسمك لأكبر حته .. مـن شعرك لحد رجليكي .. ابني له ظروف .. و عنده عقده من الحريم .. مش هااوصيكي يا بنتي .. خليكي دايماً حـلوه في عينه و مايشمش منك إلا كل طيب .. دينا الحنيف بيقول

كـــــــــده .

و كان الزواج وكـــل منهما يحفظ عن ظهر قلب وصايا الأم .. المرأة المحنكة التي تفهم طبيعة المرأة و دورها في حياة الرجل .. دون أن تتعلم أو يكون لديها مرجعية ثقافية ..

و بدأ التوتر يسيطر على حياتهما .. كل منهما حـــذر .. يخشى أن يظهر الوجه الأخر للحقيقة التي يهرب منها الإنسان .. فبدأ الاهتمام بنفسه وزاد اهتمامها بنفسها وكـــان كل منهما حريصاً أن يكون الـــبيت هـــو نهاية رحلة الـــيوم الشاقة .. إلى راحة الأبدان والأنفس .. يكرر الـــعبارة " اللي يخاف مـــن العفريت يطلع له " .. بدأت تعد رسالة الدكتوراه مما أثر على واجباتها المنزلية و الأنثوية .. تعود و عيناها محتقنتان مـــن القراءة .. والأمر لا يخلو أحياناً مـــن وجود " عُماس " في عينها .. تعود وتطبخ الطعام وهي مازالت بملابسها و قد ظهر العرق كأمطار بللت ملابسها .. فتجري إلى السرير و تنام بملابسها وشرابهـــا و تغط في نوم عميق وعلى رأي المثل " الشخير يصحي الميت من قبره " إنهـــا بالفعل كـــأنها ماتت ودفنت فـــي قبر لا يطيق الرجل أن يشتم رائحته .

قال في نفسه " هي دي الست المصرية " .. و عـــاد يتذكر أيام زواجهمـــا الأول حينما كـــانت تنثر الـــعطر في كل جزء من

المنزل حتى جسدها .. كان يقبل عليها كطعام شهي .. يأكل بلا توقف .. الآن هي كالطعام البايت " حامض " تنفر منه النفس . شكى لأمه .. قالت إليه .. قد تكون محقاً يا ولدي ولكن الزواج رباط مقدس بين أثنين .. تظلله شريعة الله مـــن مودة و سكينة و رحمة .. أنها فترة يـــا بني و تنتهي من رسالة الدكتوراه .. و تعود إلى طبيعتها .. يقول إليها و هو يضغط على أسنانه :-

- يعني أتحكم عليا بسجن .. يحرمني من أني أقرب ليها لمدة سنه كاملة عشان تخلص الدكتوراه .

تـــذكرت الأم مواقف قـــد مرت عليها عندما تنشغل في أمور بيتها .. وكان زوجها لا يحتمل فدائماً ينهرهـــا ويتأفف منها .. فقالت في نفسها " المرأة مظلومة " .

وكأنة سمع قولها فقال :-

- إذا كـــان فيه ظلم يبقى منها و عليها وعليا .. أنـــا غـــلطان أنـــي أتجوزت .. أنا ليا طبيعة خاصة .. ومـــش معقول هـــالا قي ملاك أتجوزه .. ولاحور عـــين فـــي دنيا الإنسان .. الإنسان هيفضل إنسان ببيولوجيته و فسيولوجيته ..

❀❀❀

قرأ على زميله ما كتبه .. فنظر إليه مندهشاً وقال :-

- هو أنت بتكتب على الخير بأشكاله كلها .. أو الشر بكل أشكاله .. يا أخي الدنيا فيها ده وده .. أحنا بشر مش ملايكه .. وذي مافيه جار مؤذي فيه أكيد جار طيب .. ومش كل موظف بيأخذ مرتب صغير يتجه للفساد .. والمرأة يا أخي ذي الرجل في مكونات جسمها .. أو ذي مابتقول بيولوجيتها و فسيولوجيتها .. تقبلها على نفسك وماتقبلهاش من مخلوق زيك .

تعاوده حالة الاكتئاب .. إن ما يكتبه قد خرج به على القاعدة العامة التي يكتب بها .. ترك ما يعجب الناس .. ليكتب ما يعجب أقل القليل .. الذين ينظرون إلى العمل الأدبي القصصي بشكل مختلف .. فقد يخرجون عن المألوف الذي كتب به الآن الكتاب من مختلف البلدان .. الآن .. العمل قد يكون له بداية وليكون وليس ضرورياً أن يكون له عقده أو نهاية .. و إذا كان " سمك .. لبن .. تمر هندي" فلنتقل على الأدب الروائي العوض .. هل نستغني عن عامل المتعة . . . . ؟!

❀❀❀

يحاول من جديد .. يريد أن يصل إلى شيء .. كل ما يؤرقه أن يتحدث عن أشياء لها دلالات .. لها نتائج ولكن بلا مقدمات

.. وإذا كان لها مقدمات لا يستطيع أن يصل إلى كنهها ..هناك أسئلة بلا إجابات وإجابات بلا أسئلة .. يريد أن يصل و لكنه لا يستطيع ..هذه هي الحياة بمتناقضاتها التي قد تكون لأسباب أو بـــدون .. أشياء تؤرقه .. ولا تستحق ذلك الإرهـــاق .. تشغله تلح عـــلى ذهنه .. لا فـــائدة ولا طائل مـــن ورائها .. لا تزيد الأدب شيئاً .. بل تنتقص منه .. و لكنه سيكتب .. عنداً ؟! مع مـــن ؟! من المؤكد مع نفسه .. و إذا كان الأمر كذلك فلابد أن يجعله قضيه فـــكريه قـــابله للطرح .. بل يجب أن تظل حبيسة الأوراق .. حـــتى لا تتـــأذى الأنفس من قراءتها .. أجعلها يا رجـــل في رأسك و لا تخرجها .. حـــاكي بها نفسك التي يأتي يـــوماً وتمل النفس من حديثك .. أكتب كما أعتدت أن تكتب .. فما يقبل عليه من كتابتك السابقة .. قد يكون لها مؤيدون .. ولو قـــل عددهم .. ما تحاول الإقبال عليه سيفقدك القلة القليلة التي تقرأ لك .. لا تحاول .. بل سيحاول .

## أمهات و أباء

.. تجمعوا في احتفال اليوبيل الـــفضي لـــتخريج الدفعة .. خمسة و عشرون عام مضت عـــلى تخريجهم مـــن الجـــامعة . منهم مهندسون ومحاسبون ..

و حقوقيين و أطباء .. كلهم مواليد ما بين عـــام ٤٧ و١٩٤٨.
كــلهم في وظائف مرموقة في الــدولة .. منهم وزراء ونواب و أســـاتذة جامعات .. كلهم بلا استثناء من طبقات متوسطة أو دون المتوسطة .

يفتخرون بمـــا وصلوا أليه .. يـــوم أن كـــان لكل خـــريج من الــجامعة مكاناً و وظيفة في الدولة .. تستقبل أجـــهزتها فاردة جناحيها بالترحاب .. نعم رجال المستقبل .. وبالــفعل أصبحوا رجال الدولة وحملة مسئوليتها .. أمالها و طموحها ..

منهم من هو مستشار .. والده يعمل خفير دريسه بالسكة الحديد .. وأمه تجهل القراءة و الكتابة .. يعيشون في مساكن الدريسه الــتي هي عبارة عن كشك خشبي لا تتوفر فيه أدنى متطلبات الــحياة .. أكل باذنجان مقلي لأعوام كثيرة ولم يقدح على قلبه كما يقول أبناءه الآن .. إذا ما طلب من زوجته الموظفة و جبه باذنجان مقلي .. ليس حنيناً لأيام الفقر التي لــم يذق فيها طعم اللحم إلا في عيد الأضحى .. الأولاد يرفضون .. هـــذه أكـــل للحيوانات وليس لبشر .. إن الزيت يقدح على قلوبهم ويصيبهم بالغثيان .

يتذكـــر كـــيف كـــان يذاكر على لمبة جاز حتى أجتاز مراحل الـــتعليم الــمختلفة ووصل للجامعة .. كلية الــحقوق .. الكلية

الخاصة بأثرياء وعظماء البلد أيام الملكية .

نجحت الـمعادلة و أصبح لـكل مجتهد نصيب .. الـيوم كلية الـحقوق تخـرج الآن الـدفعات .. معظمهم يعملون بشركات النظافة " كناسين " .

منهم من هو طبيب و حصل على الدكتوراه و يدرس بالكلية .. كـان أبوه خفيراً نظامياً يوصل إليهم لقمة العيش الـقليلة التي تشبع و لا تغني مـن جـوع .. و الأم تعمل بالبيوت " شغالة " تفتخر بابنها الذي سيصبح طبيباً يشار إليه بالعنان .

منهم مـن هـو ضـابط شرطه في موقع حساس .. أبوه كان شرطياً .. و كـان الأمل يغازله في أن يصبح أبنه ضابطا مثل الضابط فلان أو الضابط علان .. مثله الأعلى فـي الوظيفة .. تخـرج و أصبح أحسن من كل ما عرفهم من ضباط .. و أمه أيضاً سيدة ريفية أمية .. علمته حسن الخلق والأمانـة .. فظل أميناً مـن صغره حتى أصبح شخصية أمينة هـامه .. بحـكم الخبرة و الخلق والأمانة .. فدائماً يرشح للأماكن الحساسـة .. بدون حساسية .

ومنهم .. و منهم .. كلهم أو معظمهم لإباء وأمهات فينظر إليهم في الوقت الحالي بنظرة صغيرة .. ولدوا في ظل الحكم الملكي .. و تربوا في أحضان ثورة يوليو .. التي كان من أهم أهدافها

المساواة في الحقوق و الـواجبات .. و كان العامل و الـفلاح محصنين بمبادئ الثورة .. الأمل في المستقبل لا يعوق الـفقر و العوز و الحاجة .. الشرف و الأمانة و الأمل .. كلها أسلحة تدفع الآباء و الأمهات للحلم بحياة أفضل لأولادهم و دائماً تأتي النتيجة إيجابية فتتحقق أحلامهم .. ليس مطلوباً من أبنائهم غير استذكار دروسهم . . مناهجهم البسيطة التي تخلو من كل تعقيد مـوجود الآن .. الـمعلومات التي يقرها الجيل الحالي مجرد دراسة خاوية من التفكير و الـخلق والإبداع .. فكيف وصـل هؤلاء العظام إلى مراكزهـم التي تحرك نظام الـدولة .. إنهم أبناء كتاب " شرشر و فلفل و أحمد و سعاد " .

الآن .. هم أباء وأمهات لأجيال تعيش بيننا.. حقا أنهم متفوقون في دراستهم ولكنهم خلوا من الإبداع الذي يشبع النفس و الروح .. حُـرموا من الخيال البسيط فبدت حياتهم معقدة .. فقد نجح الآباء و الأمهات الذي يحكم حياتهم البساط .. وفشل الآبـاء و الأمهات و قـد وفروا لأبناهم كـل شئ .. الأولاد عاصون .. متمردون .. يأخذون و لا يعطون .. في علمهم و لهوهم وحتى في زواجهم ..الاعتماد على الأب والأم في توفير كل شئ لهم.

ونظر السادة الحاضرين إلى بعضهم وأحدهم قـال في نفسه .. وكأن الكل يسمع الكل وما يدور في رؤوسهم.. إننا أبناء الجيل

الذي تحمل كل شئ .. و لم يحمل أهلة شئ .. قال أحدهم أنـــه كـــان يسير يـــومياً عشرة كيلو مترات للذهاب لمدرسته .. لا مصروف جيب .. لا سندوتش للإفطار .. اللهم إلا التغذية التي تـــوزع في المدرسة وقتذاك .. قطعه جبن .. رغيف عيش .. موزه أو برتقالة .. هي الوجبة التي يعيش عليها طوال اليوم .. أولاد الـــيوم يتكلفون ثـــلاثون جـــنيهاً يومياً فـــي سبيل إعداد سندوتش الإفطار مما لذ وطـــاب .. مما لم يسمع عنة من قبل " بلوبيف – لانشون – جبنه راكفور – الخ " لـــم يأكل اللحم إلا في الأعياد .. و أولادة يأكلون ستين كيلو لحم في الشهر خلاف الطيور و الأسماك .

الـــمعادلة الـــفقيرة السابقة .. جاءت بنتائج إيجابية .. معادلتهم اليوم تأتي بنتيجة سلبية .. وقد يشكو بعضهم لبعض مـــن عجز جنسي لأولادهم الشباب وكبت جنسي لبناتهم .

كان و لابد لهم جميعاً أن يجعلوا أولادهم امتدادا لهم .. فحطموا قوانين العدالة الاجتماعية وأصبح أولادهم ضباطاً ووكلاء نيابة و قضاه و أطباء و مدرسين في الجامعة .. فأصبحوا أجساداً بلا أرواح .. احتياجاتهم كثيرة و مطامعهم لا حدود لها و لا يكفيهم أي راتب مهما عظم .. اللذين" طفحوا الكوته " حتى يصبح لهم ولأولادهم شأن .

وزوجاتهم .. أمهات قد شغلتهن وظائفهن .. في مجتمع يتساوى فيه الرجل بالمرأة .. فخرجت إلـــى ميادين الـــحياة المختلفة .. سياسية .. اقتصادية واجتماعية" لزوم البرستيج "وتركن الأولاد تحـــت رحمة تربية " الدادات" كل الحاضرين شكوا لبعضهم و كأن هذا اللقاء جاء متنفساً لهم ليعلنوا مـــا كـــانوا يخفونه فـــي صدورهم لكثرة مشاغل الحياة .

وبـــاتت الأمهات اللاتي كن منارة للحياة الأسرية .. أسطورة و انتهت .. وإذا ما ظهرت أحـــداهن .. وسارت على نفس درب أمهات الأربعينيات و الخمسينيات وحتى الستينيات .. لا تحصد ما زرعت .. تعلم أولادها بشق الأنفس والـــنتيجة ضياع فـــي خضم حياة أصبح لا معنى و لا طـــعم ولا رائحـــة لها .. فهذا الشاب الذي تفوق في الثانوية العامة .. من أبناء الساهرين على " لمبة الجاز " وقد التحق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية وكان الأول عـــلى دفعته و لـــم يعين معيدا .. فتقدم لامتحان مسابقة وزارة الخارجية وكان الأول على الـــمتقدمين و لـــم يُقبل .. و السبب صراحة .. في وجهة أنطلق المدفع " لأن أبـــوك فـــلاح بسيط وأمك ست أمية " فكـــيف سيكون واجهة لنا فـــي العالـــم الخارجي و هو من أسرة فقيرة .. في ظل مجتمع تحول بمقدار ١٨٠ درجة .. إلى رأسمالي مستغل مستفز و كانت النتيجة أنه

انتحر غرقاً .

و دائماً أباء و أمهات الزمن النظيف .. و دائماً لأبناء نحتوا في الـصخر وسيظلوا ينحتون فـي صخر أصـم تتعالى ضحكاته سخرية منهم .

## الستينيات

.. كـل جـيل يعتز بفترة زمنية معينة .. تعد الفترة الذهبية في حياته .. سأل أبنه الذي ولد في السبعينيات .. مـا هـي أجمل فتره في حياتك .. قال في تأكيد .. التسعينيات .

عاد بذاكرته ليجد أن الستينيات هي الفترة الذهبية في حياته .. بل في حياة كل من ولدوا في الأربعينيات حينما كانوا شبابـا.. أو من ولد في الخمسينيات حينما كانوا أطفالاً .. شبه أجماع من هذا الشعب الطيب على تلك الفترة .. لماذا ؟ هـل هـي الفترة الذهبية التي تمر في حياة كل جيل .. من ولدوا في العشرينيات يقولون الأربعينيات .. تسألهم لماذا .. تكون الأجابه لأنها فترة شبابنا وصبانا .

أما اللذين عاشوا في الستينيات كانت لديهم مقومات أخـرى .. غير أنها فترة شبابهم وصباهم .. أنها فترة ما بعد قيام الثورة..

التي تنفس فيها البسطاء أنفاس الحرية و المساواة و العدل .. إذن هي الثورة سبب سعادتهم في تلك الحقبة الزمنية .. قالوا أنها سبب رئيسي ترتب علية أسباب فرعية في مساحة الحياة و الطموح المحدود في ظل اشتراكية .. أو ما يسميها البعض الوجه الآخر للشيوعية .. فالناس كلهم أشبة ببعضهم في مسكنهم و مأكلهم و ملبسهم و دخولهم المادية .. باستثناء بعض التجار الذين يدارون على شمعتهم حتى تظل مضاءة .. و هم أيضا يتصرفون مثل تصرف العامة في كل شئ .

ولكن .. أحد أصدقائه .. طرح علية الوجه الآخر لتلك الحقبة الزمنية وقال أنها أسود أيام حياة أسرته .. معظمهم كانوا من الأخوان المسلمين .. طاردتهم فلول السلطة ليلاً و نهاراً .. راقبتهم في كل تحركاتهم .. كانوا كظلهم .. يعدون عليهم أنفاسهم فقال لزميلة .. أهذا في ظل عهد جمال عبد الناصر الذي أطلق شعار الحرية .. قال في تأكيد .. بل أنهم قالوا أن ذلك بناء على تعليماته .. عندما صدرت في الستينيات قرارات اعتقالهم .. فكانوا يحلقون عليهم كالدجاج في عشش الطيور لمن كان علية الدور في الذبح .

تعجب حينما سمع ذلك من صديقة و قال " كل شئ جايز " لكن برضه هتفضل الستينيات معنى جميل لناس كتير رأوا الوجه

الجميل ولم يروا الوجه القبيح .

بدأ كاتبنا يشعر بارتياح كلما أكتشف أن هـناك وجـوهاً كثيرة لأشياء كان يظن أنها جميلة .. بل تحمل معنى الفضيلة .. الآن فيها من القبح والرزيلة مـا يجعله بالفعل يتراجع عما كتبة من قبل؛عالمه الوردي الذي تُعطر أيامه الرياحين و تنبت الـزهور بألوانها المتعددة التي لا تعرف إلا حقيقة وجودها في حـياتنا.. فالزهور ستظل زهور لها رحيقها رغماً عـن أشواكها .. ثـم أستوقف وتـذكر الزهـور التي لا رائحة لها .. فـيها الجمال و لـكنها خالية مـن الـروح و عديمة الفائدة .. فهناك نباتات يسمونها شيطانية ونباتات يـزرعها الإنسان كـالصبار بشوكه المزعج .. وشجرة بودرة العفريت التي تبث ما يعفرت الأطفال في صغرهم حينما يمزجون و يضعونها في قفا بعضهم البعض .. وهناك شجرة تمثل له دلاله .. يمرح حينما يتذكرها أحـيانا و يتألم حينما كان ينقى على وجهه بثمارها التي هي عبارة عن عود أخضر رفيع له سن مـدبب كالشوكة ..تلتصق بالـوجه و كأنها سهم يرشق في وجه العدو .. ولكنه ليس بعدو .

أستمر في كتابة كل ما هو متناقض مع بعضه البعض و كـان سعيداً بمـا يكتب .. لا يفكر في رأي من يقرأ ما يكتبه سـوى

كان ناقداً أو قارئاً عادياً .. حتى و لو كـــان مـــن قرائه اللذين تربطهم به رابطة حميمة .

## الشاليه

.. أعتـــاد ذلك الرجل أن يـــذهب صحبة أهلة منذ أن كـــان صغيراً لأحـــد مصايفنا الـــجميلة .. لـــه ذكـــريات كثيرة تـــربطه بـــذلك المصيف ومعاني رسخت في وجـــدانه .. فـــالآخر لا يمثل فقط الاستحمام في مياه البحر أو استنشاق اليود أو الفرجة على البنات الجميلات و هـــن يرتدين " المايوهات" .. هناك أشياء عديدة منها الشاليه .. المنعزل عن شـــاطئ البحر .. يقع في الناحية الغربية آخر الشاطئ .. فكان بمجرد وصـــولة الـــشاطئ يظل يعافر مع الرمال الثقيلة حتى يصل إلـــيها .. يستغرق الـــمشوار ساعة كاملة .. حتى يصبح كالشاليه منعزل عن المستمتعين بجمال الشاطئ .. يراهم مـــن بعيد كنقط تتحرك في سراب يظل قابعاً أمامه و كأنه يتغزل فيه .. مبني من الخشب المعشق و يرتفع عن الماء بواسطة قـــوائم حديدية قد علق بها الحشف وكأنها على وشك أن تنهار .. يعوم أســـفلها .. فـــيجد الماء بارداً .. ثم يرى بين أخشاب الأرضية ضوء منبعث ويتحرك رجل وامرأة .. يضحكان .. ثم يصمتان

.. وسرعان ما يخرجان من الشاليه .. كل منهما يرتدي "مايوه" وينطلقان ناحية البحر .

فظل يرقبهما وهما يتبادلان القبلات و الأحضان وسط المياه .. بالطبع لم يروه وهو يتلصص عليهما .. ليس تلصصاً بالمعنى الـمعروف ولـكنه فضول طفل بدأ صراعه مع غريزته التي أوشكت على التفجر داخل جسده .

تنتهي الرحلة و يعود .. أشياء كـثيرة عـالقة بذهنه .. قبل أن يغادروا المصيف .. رجل الإنقاذ يخرج فتاه غريقة مـن المياه .. لم يستطع النظر إليها .. يخاف مـن سـيرة الموت و رؤية الموتى .

عندما عاد إلى بلدته .. قرأ في الجرائد " العثور على جثة سيدة غريقة .. مخنوقة على شاطئ البحر " .. قال في نفسه مفزوعاً .. إنها جثة الفتاه التي سمع عن غرقها قبل أن يسافر بعد انتهاء المصيف .. ولكن .. لماذا اختنقت و من خنقها ومن أيـن أتت و أين أهلها .

في العام التالي للمصيف .. كان في شوق بالغ لـرؤية الشاليه .. بمجرد و صوله للشاطئ جرى ناحيته .. تمنى لو أنه أقـام فيه أو أمتلكه والده .. أنه مكان شاعـري لم ير مثله إلا في أحلامه .

وصل إلى هناك .. وجده مغلقاً و قد وضع الشمع الأحمر على بـــابه .. حــدثته طفولته البريئة عن السبب في سر هذا المكان الشاعري الجميل .. أنه من صفوة الأماكن على هــذا الشاطئ البديع .

وجد خفير يأتي يحمل بندقية على كتفه و يأتي من بعيد ويشاور إليه بالابتعاد عــن الــشاليه .. نظر إلى الـــرجل مندهشاً حتى أقترب منه و قال إليه :-

- أبعد يأبني عــن المكان ده الله لا يسيئك .. ده مــليان عفاريت .. معفرته ..

فسأله في فضول :-

- ليه يا عم .

قال الخفير و هو ينهره :-

- و أنت مالك يا أخي .. ما تروح لحالك.

جلس الخفير على درج الشاليه وأخــرج سيجاره فرط من جيبه و أشعلها .. ثم نهض مفزوعاً و قال وقد بدا مرتاعا :-

- ربنا يلطف من الصيف واللي بيجرى فيه .. هــو أنتم يـــا عـــفاريت النسوان مش هتبطلو تقرفونا .. قرفتم أهاليكم في حياتكم و قرفتونا في مماتكم .

بدأ جسد الطفل يتصبب عرقاً .. فضوله دفعه لمعرفه سر هـــذا

الـــمكان الـــذي كـــان يعتبره جميلاً فعاود السؤال على الخفير

- و النبي يا عمي تقولي أيه الحكاية .

شخط فيه و قال :-

- النسوان الفاجرة اللي تندب فـــي عينها رصاصه .. و الراجل الشايب العايب اللي نجس البحر الطاهر .. كل ســـنه يـــرافق لـــه واحده .. تهرب من جوزها وتيجي تقضي معاه يومين .. آخر واحده جوزها فضل قاطرها .. لحد ما وصل للشاليه وشافهم مـــع بعض فـــي الميه .. برك عليها وخنقها .. والراجل الفاجر سابها و جري و هرب و دخل الشاليه .. لكن صاحبك ..

ثم توقف لحظه وأخـــرج سيجاره آخري وظـــل يدخنها وهـــو صامت.

الطفل تألم لما سمعه وظـــل يلاحقه بالأسئلة ليعرف بقية القصة فأردف الخفير وقال و هو يعتصره الألم :-

- جثتها طفت عـــلى الميه وافتكروها غـــرقانه .. و لما راحـــت الـــمشرحة عـــرفوا أنها مخنوقـــة .. و هات يا تحريات مباحث و بوليس لحد مـــا وصلوا للقضية .

عاود الصمت مرة أخرى .. فألح الطفل علية أن يكمل الحكاية .. فأكمل و قال .. أن صاحب الشاليه يستدرج النساء إليه كـــل

حين .. و إنه يعرف الكثيرات منهن حتى كانت النهاية .. و قد قتل زوجها صاحب الشاليه .. و ظلت القضية قرابة شهر حتى حلت ألغازها .. تذكر على الفور .. المرأة التي غرقت الصيف الماضي و وجدها مخنوقة .. إنها هي .. هي التي رآهـــا تسبح مع الرجل بالقرب من الشاليه .. إنها لم تكن زوجته .. ملعونة تلك المرأة .. وملعون الـــرجل .. و ملعون الشاليه الـــذي شهد جرائم الخيانة الزوجية .

تحـــول منظر الشاليه الجميل الـــذي كان يداعب خياله .. إلى مشهد كئيب .. و سرعان ما اشتعلت النيران من داخله .. حتى آتت عـــليه كاملا .. عـــدا الـــقوائم الحديدية .. التي كان يسبح أسفلها .

تنحى عن رغبته في امتلاك ذلك الشاليه .. الذي كان يصور له ماضي شاعريا جميلا .. و لم يتبق منه إلا حـــطام تنثر رائحة الخيانة التي غطت على رائحة اليود الجميلة .

❀❀❀

## قرى و أحياء شعبيه

.. يتبـــادر إلـــى ذهـــــنه مفردات راســـخة في وجدانه عن القرية .. ابن عمه مـــازال يقيم بها بعد أن هجرها أغلب أفراد العائلة ..و هو واحد منهم .

تــوجه إلى موقف السيارات .. ركــب السيارة التي لم يغيرها الزمن .. فــورد موديل ١٩٥٠ سعتها خمسة أفراد .. يركــب فيها عشرة .. كيف ؟ لكن هــذا ما يحدث .. ركب في الخلف و بجواره و أعلى ركبتيه ستة أفــراد .. ويركب بجوار السائق أربعة أفراد .. أثنان على مقعد و أثنان في " الدواسة " .

وصلت السيارة بسلام الله إلى القرية .. نزل .. أستنشق هواها المتميز .. كل شئ بالتقريب كما هو .. بأستثناء بعض البيوت المكونة مــن دورين أو ثلاثة وقــد بنيت بــالطوب الأحمر .. بــالطبع عــلى جزء من أرض كانت زراعية .. أصحابها من اللذين سافروا للخارج و فتح الله عليهم .

أجتاز الأذقه الضيقة حتى وصل إلى بيت أبن العم .. الذي كان بيتا للعائلة سابقا .. طرق الباب ففتحت له زوجته .. لم تعرفه .. سألته .. أجابها .. رحــبت بــه في فتور .. دخــل وأستقر بحجرة .. المسافرين .. كما هي .. نفس الأثاث .. ثلاث كنبات بلدي و أعلاها على الحائط نفس الصور القرآنية .. و صــورة الفيل خوفا من الحسد .. مِن مَن ؟!

غابت عنه فترة طويلة .. ظــل جالسا وحــده .. لعل ابن عمه مازال في الغيط .. هــو الوحيد الذي أشتغل بمهنة الزراعة .. كل أفراد الأسرة موظفون في المدينة حضر ابن العم و صافحة

في فتور .. تعجب .. أنه أوحشة .. فهو الذي يمثل رمز العائلة الـــريفية .

شعر بحركة غير عادية .. خرج ابن العم و غاب وقــد احضر بعض اللفافات الـــورقية .. دعاه لتناول الغداء .. تجمع الأولاد حوله .. لكن ابن العم شخت فيهم .. بقيا الاثنان أمام الطبلية .. فقام ابن العم بفتح الأوراق .. الأولى بها عيش بلدي مخبوز في فرن القرية .. واللفافة الأخرى بها جبن أبيض و حلاوة طحينية .. و قليل من الزيتون الأسود و علبة تونة .

دهش .. أكل من خارج البيت ؟ .. ظل ينظر للطعام ومــد يده وبـــدأ الأكل .. أحاديث عـــن الأسرة كانت تؤنسهم أثناء تناول الطعام .

استأذن بعد تناول الطعام .. فلم يمسك فيه ابن العم .. أو يدعوه للأقامه الليلة .. كما كان عهده به .. لقد مـــرت خمسة سنوات عـــلى أخـــر زيارة له .. وقتها الزوجة خبزت في الفرن الذي يتوسط ساحة المنزل .. ذبحت أكبر الذكور مـــن البط .. طهت كشك بشوربة البط .. أعدت طاجن من الخضار .. سوته فـــي الفرن .. و طاجن أخـــر أرز معمر .. وكان العشاء على نفس المستوى .. و بـــات ليلته معزز مكرما وتناول طعام الإفطـــار من فطير مشلتت و بيض مشوي و قشدة و عسل نحل .

توجه إلى موقف السيارات و ظل يفكر في ســـر هذا التغير .. لاحـــظ أن أغلب الفلاحين يحملون لفافات من الورق بها نفس الأصناف التي قدمت إليه .. فهل جـــدب الخير لهذا الحد .. لم تعد القرية مصدراً للكرم .. لـــم تعد كخلية النحل .. يعجنون و يخبزون ويربون طيور .. و لم يعد هناك لبن بخيره .. لقد لفت نظره أن الزريبة لم يعد بها جاموسه أو بقره .. وحتى عـــشش الطيور قد خلت من صياح الديكه و الـــفراخ و نقرات الأرانب .. و بخترة الإوز و البط .. أين الوجه الذي أعتاد أن يـــراه .. صوره الخير و الكرم و الجود ما الذي حدث .

حضرت السيارة فألقى بنفسه داخلها و عاد منكسراً .

مـــره أخـــرى شـــدة الحنين إلى الحي الشعبي الذي كان يقطنه عندما حضر للمدينة وسكن في حجرة أعلى سطوح أحـــد بيوته .. يتذكر دائماً المقولات التي تطلق على أهالي الحارة الشعبية .. الـــشهامة .. الـــرجولة .. الـــتراحم .. الأمـــانة .. التكافل الاجتماعي .

يتذكر عندما حـــل عـــلية العيد .. توافد الجيران من أهل البيت عـــلية وكـــل منهم يحمل صنيه ملفوفة بفوطة نظيفة .. مملوءة بكحك العيد والبسكويت .. يتذكر " أم فاضل " التي كانت توزع المحشي على سكان البيت .. ويكون له فيها نصيب .. أكـــلات

عــديدة شعبية لا يأكل منها أصحاب البيت فقط .. بل يجب أن توزع على كل أهل البيت فدائماً تتحقق هناك مقولة "مافيش حد بينام من غير عشا " .

ذهب إلى هناك حاملاً في قلبه أجمل ذكريات لذلك المكان الذي تفوح منه رائحة الخير .. فوجئ بأن رائحة المجاري تفوح من كل جانب .. قال في نفسه " ربنا يستر وكل إناء بما فيه ينضح" .. توجه إلى عم بسيوني .. البقال .. الــذي كــان يشتري منه " شكك " حتى تصله الفلوس من البلدة على كل أول شهر .. لم يتذكره الرجل .. بل أنه كان ينفخ و يزيد مــن الزبائن و جعل يردد " و الله ما عنت مطلع حاجه شكك .. أكتر من ألفين جنيه في بطون الناس لحد ما هفلس .. يرضي مين يا عالم " .

و ســرعان ما دقــت خناقه بين بعض البلطجيه .. الذين كانوا أطفالا صغاراً يتحركون فــي براءة عــندما سكن الحي .. لم يعرفهم من وجوههم .. بل من أسماء أهــاليهم .. انتهت بمقتل أحدهم .

أدرك أن الحي الشعبي والحارة الطيبة لم تكن كسابق عهدها .. لحق بها ما لحق بــالريف .. الجشع .. اغــتصاب الفتيات .. فرض الإتاوات .. البخل الشديد .. الشهامة الــزائفة .. التسلط .. التباين الفظيع بين الطبقات بعد أن كانوا كلهم طبقة متوسطة

أو دون المتوسطة .. تجــارة البانجو أصبحت سمة أهــل ذلك الحي " مــا عــدش فيها كسوف ... الشاطر يلعب باللي تطوله أيـــــــده " .

عشرون عام لا أكثر .. و انقلبت الموازين وتبدلــت مــفردات كــل مــا هــو جميل .. الناس لا تفكر إلا في يومها .. كيف يحصلون على زادهم .. بأي وسيله كانت .

عــاد مكفهر الــوجه .. يلعن تلك الفترة التي بدأت مــن بداية الثمانينيات و مازالت مستمرة حتى الألفية الجديدة .

ظل يحدث نفسه قائلا " أيه هو أنت كنت أعمى وما بتشوفش .. وأهو الحال منيل في كل حته .. في الأحياء الراقية و ما تحمله من رزيلة .. و الأحياء الشعبية و القرى التي أصبحت فقيرة .. أكيد أنا كنت أعمى " .

## الخيال لم يعد محال

.. هـــذا الــرجــل ..

مــولع بالخيال .. هو من مواليد الخامسة و الأربعين من القرن الفائــت .. هــو مثل أغلب أقــرانه اللذين عاشوا في عالم من الخــيال .. و مــن المحال أن يتحول إلــى واقع .. و جميعهم راضون به و يطيرون على أجنحته .. يذهبون من خلاله إلــى

أفاق بعيدة .. يحلقون بأجنحته إلى أماكن ليس لها وجـود فـي الواقع .. الجبال الشاهقة التي ينعكس عليها السحاب .. تتحرك بهم .. السماء بألوانها المتعددة التي يرونها من وجهة نظرهـم .. الاتصال بعوالم غريبة .. يتحدثون مع أحباء لا وجـود لهم .. في عالم برزخي .. يتقابلون مع أموات يحكون إليهم عـن النعيم و الجحيم في الأخره .. يرون الحبيب من خلال مرايتهم السحرية .. يتحدثون إليها وهم نائمون عبر الأثير .. وخيالاتهم تشطح إلى ما لا يمكن تحقيقه ..

ألف ليلة و ليلة الإذاعية و التلفزيونية .. الأفـلام السينمائية .. العربية والأجـنبية .. ملأت مساحة من الخيال كانت ذادهم في حب كشف المجهول .

وبدأ صاحبنا في تنفيذ ما كان خيالا وأصبح حقيقة .. في حلقات ألف ليلة وليلة الإذاعية .. كان بطل العمل .. يركب حصانا .. يقطع الزمان في أيام .. بعد أن كان شهورا وسنينا .. أو يركب بساط الريح فينقله مـن مكان قريب إلى مكان صعب الوصول إلـيـه .

فـكانت الطائرات .. التي تخترق الـزمان و تقرب المكان .. رحـلـه إلـى أمريكا .. كانت حلم المغامرين الأولين .. ركبوا مراكب .. جابوا بحار المحيطات .. دواب .. عربات تجرهـا

خيول .. حتى يصلوا إليها .. تستغرق الرحلة شهور عديدة .. الآن .. ســاعــات .. يرون تغير الليل و النهار من خلالها .. يقلعون الساعة الـــرابعة عصر .. و لا يتقدم الزمان .. ولكنه يـــرجع .. فيصلو ا الساعة السادسة صباحـــاً .. مـــثلاً .. أدى صـــلاة العصر .. و المغرب .. ثـــم الفجر .. لم يلحق بصلاة العشاء .. تتغير ساعته البيولوجية .

البطل أراد رؤية حـــبيبته .. ينظر فـــي المرآة السحرية الـــتي أحضرها إليه الجن .. الآن .. يراها عبر شاشات التلفزيون .. بل أنه لم يكن يستطيع التحدث إليها .. صورة فقط دون صوت .. صورة مجردة دون اتصال و تواصل .. فكان النت بعدساته .. وتعدى الأمـــر التحدث بالتليفون الـــذي كان معجزة وقـــت اكتشافه و السينما .. التي كان يضطرا دخولها في الشتاء البارد .. يراها الآن في البيت في سريرة .. تحت البطانية .. فـــكان الـــفيديو .. شـــرائط .. ثـــم سيديهات ثـــم دش .. الفيلم الذي لا يستطيع أحد حمل أشرطته التي تتجاوز عشرات علب الأفلام التي تـــزن عدة كيلو جرامات .. الآن .. عدة جرامات .. في شريط الفيديو أو السي دي .

إذا كان يجيد الرسم .. علية أن يرسم مكان زاره في رحـــلة .. ولن يراه ثانية .. ثم أصبح كاميرا فوتوغرافية .. تنقل الصورة

جامدة .. صامتة .. ثم كاميرا السينما ٨ مم .. يرى نفسه في تلك الأماكن .. لحظة من لحظات عمره .. استطاعت الكاميرا أن تجعلها تتوقف ليراها كلما شده الشوق لتلك اللحظات .. ثم كاميرا الفيديو بحجمها الكبير .. ثم بحجمها الذي لا يزيد عن علبة الكبريت ..ثم المحمول .. الذي يرى فيه من يحدثه .. خيال كان من المحال .. لا يتعدى الخيال و التمني أن يتحقق . كان يجلس بجوار الغرفة التي أعدت لولادة زوجته .. يفكر .. يتخيل .. يتمنى .. يقول " يا ترى ولد ولا بنت " الآن .. يعرف مسبقاً هل سينجب ولداً أم بنتاً .. واحداً أم توأماً .. أم ثلاث .. فالأشعة تظهر كل شئ .. حتى الأمراض المستعصية .. يدخل إليها المنظار .. يجول ويصل .. حتى يحدد الداء .. بل يعالجه دون حاجه لمشرط الجراح .

في الحروب .. وجها لوجه .. بالحربة أو السيف .. مترجلين أو على ظهور الخيل .. ثم فكر هل يمكن ضرب العدو في مقتل دون المواجهة .. فكانت السهام التي تطلق من النبلة .. ثم المنجنيق للقتل الجماعي وفتح الحصون .. ثم البندقية التي تطلق طلقة واحدة .. قد تصيب أو لا تصيب .. وليته يصيب

أكثر .. مكان الرشاش يطلق نيرانه عشوائياً .. ثم المدفع الثقيل ليقتل عدداً أكثر .. ثم الطائرات تقذف بلهيبها .. ثم الصواريخ قريبة المدى و الدبابات .. ثم الصواريخ بعيدة المدى .. ثـم لا مواجهة بين الأفراد وتكون الحروب بالصواريخ عابرة القارات والقنابل الذرية .. الضغط على أزرار فقط .. تبيد شعب بأكمله .. و الخيال و الإبداع في هذا المجال .. للجميع .. ولكن الواقع المرير فرض نفسه .. فلا يحق لأي شعب أن يمتلك تلك القوة المدمرة .. بـل هـي من حق شعوب باردة أخرى .. الشعوب الكبرى فقط .. و مُحرم على الصغرى .. ويحـدث الاصطدام و تقوم الحـروب عـلى نطاق أوسع .. ففي ظـل الهمجية و البربرية التي كانت تعيش فيها الشعوب قبل القرن العشرين .. لـم تـكن هناك حروب إبادة .. كانت الحروب بين طرف أو أثنين أو ثلاثة على الأكثر .. في القرن العشرين تجرعت جميع الشعوب الألم مرارة فاقت الخيال و الإبداع لأسلحة مدمرة .

ومع تقدم الشعوب .. تتأخر أخلاقياتها ..فكانت الحرب العالمية الأولى و الثانية .. و مر القرن دون الثالثة .. و قد تكون فـي الألفية الجديدة بعد أن عادت فكرة الاستعمار تحت مسمى جديد " الديمقراطية الجديدة " يا له من خيال وإبداع مـدمر .. يا ليته ظل خيالاً .. وطالما الإنسان يعيش و يفكر .. لن يتوقف الخيال

الذي يفوق الخيال ذاته .

صدقت الآية الكريمة "ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء" و شاء الله أن يحيطهم بشئ من علمه على مدى قرون عدت .. تـرى ماذا أتيح الخالق لهم بشئ أخـر من علمه و ما كنه هذا الشئ .. قـد يـكون شيئاً يفوق الخيال .. فيصبح الإنسان بلا خيال .. أو يلهث مرة أخرى وراء الخيال .. فـكان الاستنساخ لنحيوانات .. هل سيكون للبشر ؟! يلهمهم الله .. هم علماء و لا يعترفون إلا بالعلم .. ويصمتون عندما يعرفون أنـه لا علم إلا بأمر الله .. يظنون أنهم خـرجـوا عن ناموسه ويتشككون في وجوده .. و لكنهم يكتشفون أنهم لا يستطيعون الدوران في غير فلكهم .. ومنهم كفار .. فيسلمون بأمره ويسلمون .. سبحانك .. لا علم إلا ما علمتنا .. و لا يخرج علم البشر مهما كان خيالهم .. عن علمك .. سبحانك .. سبحانك .

**روائح السنين:ـ** يـعيش الـحاضر .. و لا يشغلـه المستقبل .. يتوقف كثيراً عند الماضي .. بذكرياته الحلوة و المرة .. دائما يتناسى المر فيه .. و عندما بلغ الستين شـده الشوق والحنين .. إلـى العودة عبر السنين .. من الحاضر إلى الماضي .. و كأن سنين

حياته توقفت عند هذه السن الخطرة .. أخطر من فترة المراهقة المملوءة بـــالأمـــل .. هـــذه السن .. يحكمها الشجن والأنين و الانتظار إلى حين .. قد يطول أو يقصر .. و لكنه حتما سيأتي ..ولن تكون له ذكريات متباينة كلها متشابهة .. بل كلها تتوقف عـــند أمـــر معين فقط .. أنه في الستين .. وقد لا يتجاوز تلك السن لعام أو شهر .. ينام كل ليله ويعتقد أنها الأخيرة في حياته .. وإذا ما كتب الله له عمراً .. يقول " يوم أخـــر .. يشبه اليوم الذي مضى وحركة قليله في حيز ضيق متكرر .. أكل وشرب ولا عمل ولا أمل ولا طموح فيما سيأتي .. لا ينفعه إلا التقرب مـــن الله". ويحاسب نفسه ألـــف مره فيما أسرفت فيه نفسه .. يبكي كـــثير .. يندم أكـــثر .. يتمنى أن تعود به الأيام حتى لا يخطئ .

أنضم إلى نادي للمسنين .. يقطع فيه فراغ نفسه .. يشغل نفسه بوهم و هو على يقين .. أنه وهم .. حتى لو كان جميلاً ويقول "يا لا ضعف النفس البشرية التي لا تقوى على مواجهة الواقع".
ينظم النادي رحـــلات خـــلال فصلي الشتاء والصيف .. أنضم إليها .. يركـــب الأتوبيس ويسترجع شريط الذكريات .. الرحلة اليوم إلـــى رأس البر .. يظل يـــراقب الطريق .. هناك أشياء تغيرت .. وأشياء على حـــالها .. أرض زراعية تحولت إلـــى

مـــباني .. و أخـــرى على حالها يتنسم فيها رائحة السنين التي مضت .. رائحة لا يشتمها إلا هو وحده .. تختلف عن روائح الـفصول الـمعتادة .. الـصيف والـشتاء برائحة فاكهتهم .. الخريــف برائحة سحبه التي تنذر بقدوم الشتاء ورزاز أمطاره ... الربيع برائحة زهوره و أشجاره .

هــذه الــرائحة تختلف .. لا ترتبط بمكان أو فصل أو بشئ .. رائحة اللحظة السعيدة التي يكاد فيها قلبه يقفز من مكانه فرحة.

وصل الأتوبيس .. جرى إلى الشوارع التي سكن فـــي عششها عــندما كـــان مـــدرساً ويذهب في رحلات نقابة المعلمين التي تستغرق أسبوعاً .. تغيرت العشش وأصبحت فيلات من المباني الصامتة .. أياً كان جمال معمارها .. لـــم يشتم رائحة السنين إلا في الشوارع الترابية التي لم تسفلت بعد .. و الباعة الجائلين ينادون عـــلى بضاعتهم من فواكه و أسماك و خضار و جرائد و ألبان و زبادي .

توجه إلى السوق الرئيسي .. أصبح مباني فخمه .. خلت مـــن شـــكلها الـــعشوائي البسيط .. يشتم رائحة الأسماك والفواكه و الخبز الطازج والفطائر و المشبك .. تختلف عنها في أي مكان أخـــر .. إذن هي رائحة السنين التي مضت .. يشتمها بقلبه و عـــقله و ليس بـــأنفه .. عدت تلك السنين بشكلها في خياله ..

أشبعت نفسه .. هزت عواطفه .. أرتجف لها قلبه .

فـــي رحـــلة أخـــرى إلـــى الإسكندرية و مطروح .. وجد في الإسكندرية أشياء كثيرة قد تغيرت بدأ من الكورنيش الكلاسيك إلى الكورنيش المبالغ في معماره و تكاليفه و العمارات التي لم تتعد الخمس أدوار المطلة على البحر إلـــى عمارات و أبـــراج شاهقة .. مصيف ستانلي قد تغيرت ملامحه تماماً .. طُـــمست الكازينوهات الجميلة .. من صورة رسمتها عين الإنسان مـــع عـــين الطبيعة .. توجه إلى سوق الإبراهيمية هـــناك فقط أشتم رائحة السنين التي ولت من عمره .. حمد الله أن كل السنين لم تُطمس .

في الطريق إلى مطروح .. زحفت القرى السياحية على مناطق الرمال الصفراء التي كانت تميز الطريق من الإسكندرية إلـــى مطروح .. رغم أنها جميلة و لكن رائحة الرمال الصفراء لـــم يعد يشتمها أو يشعر بها .

نظر إلى القضبان الحديدية التي تحمل القطار مـــن الإسكندرية إلى مطروح .. حمد الله أنها مازالت موجودة .. و لـــكن تغير شكل القطار .. أصبح حديثاً .. لا يحمل عبر عرباته إلا طبقة هـــذا الزمان .. ومحرم على طبقة كانت تجد وسيلة مواصلات رخيصة .

فــي مطروح .. وجد الأسواق التي كانت تكتظ ببضاعة تأتي عبر ليبيا .. منطقة يسمونها سوق ليبيا .. قــد اختفى تماماً .. ونقل إلى أطراف المدينة .. أشتاق إلى رؤية الكروته وركوبها للتنقل بين أســواقها و مقاهيها .. هي الأخرى قــد مُحيت من أرض الواقع و حل محلها التاكسي الذي حــرمه متعة النظر و التدقيق لكل مكان في خط سير الكروته .

ظل يبحث عن روائح السنين .. وجد مشقة في الحصول عليها حتى وصل إلى مكان بعيد عن الشاطئ .. فــوجــدها .. شاليه قــديم .. يبدو أنه كان لأسرة ميسورة في زمن كان أغلب أهل الــبلدة فــقراء .. خــصوصية الأثرياء .. وجده و قد أصبح أطلا لاً .. لا حياة و لا روح تدب فــي أرجائه .. تهدم سقفه و جــوانبه .. لــم يبق إلا النخلة التي كانت في حديقته .. تقف شــامخة .. و كــأنها تنتظره لتقول لــه .. تعالى وأشتم رائحة السنين التي قضيتها فــي تلك المدينة .. أنــا الباقية من الزمن الجميل .. تحديتُ الحاضر و المستقبل و جعلت أعــيش بينهما رغماً عنهما .. مرحباً بك أيها الباحث عن السنين و روائحها . تــزرف الــدموع مــن عينيه و عاد ليواصل الرحلة في ركاب الرفاق .

في الشتاء .. كانت رحلة إلى الأقصر .. تذكر يــوم أن كــان

مكلفاً لمراقبة امتحانات الثانوية العامة في الستينيات .. حـــينما انتهى من امتحان اليوم الأول توجه لتناول فنجان قهوة في فندق " ونتر بالاس " الفندق الكلاسيك الذي بني على طراز أجنبي .. أشتم وقتها رائحة الآثار و تاريخ الفراعنة الذي درسه .. رائحة لها مذاق مميز .. ثم توجه في اليوم الأخير ليتمتع برؤية آثـــار الأجداد .. رائحة الزمن الجميل الذي ملأ أتساع العالم شـــرقية وغربية .

فـــي هـــذه الرحلة في بداية الألفية الثانية .. لاحظ التغير الذي لحق بالمدينة الصغيرة التي كانت تجمع بين الـــريف الصعيدي بعاداته و المدينة المتحضرة .. تغير شكلها مائة و ثمانين درجة .. أصبح فندق "ونتر بالاس" مجرد ذكريات .. وأنشأ " نيو ونتر بالاس " بما بنيه الحديثة .. لم يعد يشتم تلك الروائح .. أخـــبرة أحد رفقاء الرحلة وهو على دراية بالآثار وعلومها .. أنه كثيراً من الآثار تم تهريبها إلى الخارج في غفلة من الزمن وغفلة من المسئولين اللذين لم يدركوا قيمة تلك الآثار .

ذهب يبحث عن رائحة السنين الفائتة .. لم يجدها إلا في السوق .. حينما ذهب في الستينيات لشراء دجاجة هـــو وزميل لـــه .. طهاها لهما .. فراش المدرسة التي كان مـــراقباً لامتحاناتها .. لن ينسى مذاقها و رائحة حسائها المميزة .. هـــل هـــي رائحة

الأشياء .. أم رائحة السنين الجميلة .. حــيث السن المتوسطة التي كان ينظر من خلالها للسنين الآتية و التي بلغها .. فأدرك أن كل فترة عمرية لها رائحتها التي تميزها بعيداً عــن رائحة الأشياء .

❊❊❊

قــطاع خاص .. عكس الكلمة قطاع عام .. لم يكن يعي وهو صغيراً لماذا تصر أمه قائلة :-

- روح يــا واد اشتري مــن الجمعية .. " أوعى تروح لجزار أو بقال .. خد جنيه بحاله .. أصرفه كله وهات كل اللي نفسكم فيه" كان .. ولن يعود .. لا الجمعية ولا الجنيه الــذي كــان محترماً .

و ظــل يتفحص الــوضع الحالي .. محــللاً ومفنداً .. للنظــم الاقتصادية التي حــذونا حــذوها .. كان ولابد .. هذه تعليمات البنك الــدولي ... لــم يــكن يهتم أو يعي .. معنى استراتيجيه الاقتصاد .. فهو خريج فنون جميله .. يرسم من الخيال ويعيش فــي الــخيال .. ولا أحد يحد من حريته .. و وظيفته "مدرس رســم " .. أصل الفن لا يؤكل عيشاً .. و الوظيفة يرى ناتجها مــرتب ثابت مهما قــل .. لأنه يوفي بأقل متطلبات حياته من رغيف الخبز و الفول المدمــس و مشتقات الفول مــن طعميه

و بصارة .. الخ .. و معاش يخصم كل شهر وفلوس التأمينات هتغطي الدولة وتُرفع شعارات رنانة .. القطاع الخاص .. الاستثمار الأجنبي .. هما الحل السحري للخروج من عنق الزجاجة .. الوظائف الحكومية كانت خدمة للدولة .. تنبهت إليها أخيراً .... فأصبحت هناك دعوه لخصخصة كل شئ حتى الخدمات و قد تكون منها وزارات الداخلية أو على الأقل .. المطافي .. المرور .. الجوازات ... الأحوال المدنية .. فهي قد تكون عبئ على الأمن ومخصص لها ضباط وعسكر و مدنيون يقدرون بالآلاف .

هو قد لحق بالميري وترابه وقد تمرمغ فيهما .. يا بخته .. أما أخوه الصغير .. آخر العنقود .. الذي ظهر إلى الدنيا .. غلط .. لأن أمه نست أن تأخذ البرشامة .. ونداءات المسئولين بتخفيض عدد السكان الذي يتجاوز السبعين مليون .. مع أن الدولة تفتخر في نفس الوقت بأنها أكبر دولة عربية .. ولو وزع على كل مواطن " أيد مقشة " يمكنهم أن يغزون أي عدو يفكر في غزونا .

المهم .. أتخرج آخر العنقود من كلية الهندسة .. قسم ميكانيكا .. أي أنه مطلوب في السوق .. ولكن ما حدث كان خلافاً لظنون الآباء وأبنائهم .. وانضم آخر العنقود .. لعنقود البطالة

.. وبعد أن كانوا يطلقون عليه .. سكر معقود .. أصبح .. زفت معهود .. وكان بالطبع .. عاطل عويل .. يجلس في البيت يتابع القنوات الفضائية .. وأحياناً النت .. فقد أحضر أبوه " كمبيوتر " لزوم دراسته .. وأصبح من لزوم لهوته .

يؤكد المسئولون .. أن القطاع الخاص والاستثماري يستوعب من العمالة أكثر مما وردوا في إحصائيات الدولة الرسمية تحت مسمى البطالة .

وبدأ يقرأ الإعلانات ويتابع الدوريات والنشرات .. ويقلب في صفحات النت .. حتى وجد إعلانا بمصنع جديد .. لتصنيع الحديد .. في العاشر من رمضان .. يوم مبارك في شهر مبارك .. يوم النصر العظيم .. فتوجه حاملاً أوراقة .. وتم قبوله في الحال .. وأنشئ له ملف يضم المستندات .. أهمها .. عقد العمالة .. عندما قرأ أبوه وأخوه بنوده .. وجدوا أنه عقد إذعان .. يلقى على كاهله واجبات ولا يضمن له أي حقوق .. مرتب عال ومكافآت مجزية وآجر أضافي لكل ساعة عمل زيادة عن الساعات المقررة للعمل وهي كحد أدنى أثنا عشر ساعة .. يسبقها ساعتان قبل الوصول إلى العمل وساعتان بعد الانتهاء من العمل .. للذهاب من القاهرة والعودة إليها يومياً إذن يصبح مجموع الساعات ستة عشرة ساعة .. أي ثلثي اليوم

.. لا يتبقى إلا ثماني ساعات .. يأكل .. ويشاهد فيهـا التلفـاز وينام.

وسرعان ما يتدهور حال المصنع .. لإنشاء مصانع منافسه له .. يتم الاستغناء عن نصف العمالة .. وهذا يعني أنه لا تأمينات ولا معاش ولا أمل ولا مستقبل ولا ادخار ولا زواج ولا شـقة للزواج ولا زواج من أصله . ويبدأ الدورة من جديد للبحـث عن وظيفة أخرى .. شهور .. تجر شهور حتى يجد عملاً آخر .. يكون قد صرف ما أدخره من العمل السابق ويعـود إلـى " الزيرو " وليبدأ العداد من جديد .

وتصمم الدولة أن القطاع الخاص الاستثماري .. هو المـستقبل .. لمن .. لصاحب العمل .. ام للعامل .. فتُمحى من الـذاكرة القوانين التي تحمي العامل .. فلا مرض ولا إجـازة مرضـيه ولا إعتياديه ولا تأمين صحي ولا معاش .. هذا هو المـستقبل .. لصاحب العمل فقط !! وكأن المسئولين كرهوا أن يـسمعوا عبارة .. عامل .. تمنوا لو غيروها .. بعبد .. وعلى ذلك العبد أن ينتظر .. دين جديد .. يحرره من العبودية .. وثورة يوليـو جديدة .. تعيد إليه حقوقه المسلوبة .

وسيأتي وقت تخصخص فيه كل الدولة .. عدا منصب رئـيس الوزراء والوزراء والمستشارين الفنيين .. وتخـرج ميزانيـة

الدولة خالية من أي بنود إلا بند واحد .. يخصهم .. وبذلك تكون الدولة قد تخلصت من أعباء تسبب لها قلق وقرف .. من عبارات .. صحة .. تعليم .. بحث علمي .. دعم .. أمن .. الخ .. فهي عبارات تشعرهم بالقرف وتصيبهم بحساسية في جلودهم السميكة .. والمحصلة .. أصحاب المال خسروا .. وعمالهم ضاعوا .. وميزانية الدولة تأثرت .... و المستفيدون من المسئولين .. الذين سهلوا ومنحوا تراخيص و إعفاءات ضريبية.. يسقطون هم والعمال .. هذا أمر لا يهمهم .

## موت قصة

.. كل من لديه هواية عليه أن يتقدم لنادي الفنون والأدب لعرض هوايته .. لم يتوان وجرى مسرعاً إلى المكان الذي يبعد عن بيته ثلاثين كيلو متراً .. يستقل ثلاث مواصلات حتى يصل إلى المكان الذي تعقد ندواته في السابعة مساءاً كل يوم أحد .. أتوبيس عام .. ميكروباص .. ثم أتوبيس عام آخر .. يستغرق المشوار ساعتين بالتمام والكمال .

جلس مع الجالسين .. يشرف على الندوة ثلاثة أدباء كبار في السن ...... أحدهم في فن الشعر .. والآخر في القصة والثالث في الفنون المتنوعة من تمثيل وموسيقى ورسم .

يحمل مع دوسيه .. وضع بداخله القصة التي كتبها .. انتظـاراً لدوره حتى يلقيها .. مناقشات حاميه الوطيس كأنها حـرب .. كل من يتقدم لعرض بضاعته يكون مصيرها البوار .. وتـردد اللجنة عبارات تحبط الإحباط نفسه " دي بحر خـواطر .. دي أقل من أقل إبداع .. دي مش موزونة .. دي غامـضة .. دي عك .. دي ردة عن الحداثة " .

تصبب جسده عرقاً .. وظل يقلب في قصته عندما تسرب الشك إلى نفسه بضعف مستواها .. فا الذين عرضوا أعمـالهم فـي نظره أجمل ما سمع و قال في نفسه " أيه الواقعة المهببة دي "

انتهت الندوة في الواحدة صباحاً ولم يحل عليه الدور ليعـرض قصته .. قال في نفسه " الصبر جميل وخيرها في غيرها " ولم يجد مواصله عامه أو ميكروباص ليعود من حيث آتى .. فجعل يسير مسافة لا تقل عن عشرة كيلو مترات حتى وصل لموقف الميكروباص .. وحتى يكتمل عدد الركـاب عليـه أن ينتظـر ساعة على الأقل .. وانطلق الميكروباص .. ونزل في محطـة أخرى ليستقل ميكروباص آخر .. وحتى يكتمل العـدد كانـت الساعة على مقربة من الرابعة صباحاً .. ووصل أمام بيته في السادسة صباحاً وآخذ يطرق الباب عدة طرقات .. ولم يسمعه أحد .. فظل جالساً على باب المنزل .. حتى خرج أبوه صباحاً

متوجهاً للعمل .. فما آن رآه نهره ووبخه .. وقال إليه " أنت فاكر نفسك نجيب محفوظ .. يا أخي أتلهي على عينك و شوف مذاكرتك أحسن "

هو أعتاد سماع تلك العبارات من أبيه .

قام بنفس المشوار الأسبوع التالي .. ذهب قبل أن تبدأ الندوة .. تلمس خيراً في رجل كبير ضمن الأعضاء .. عرض عليه قصته .. فأبدي الرجل إعجابه بها .. ولكن له بالطبع بعض الملاحظات .. التي قام صاحبنا بتداركها .. ووعده أنه سيقدمه اليوم في الندوة .

وكان وبعد أن بدأت الندوة .. سمح له أن يقرأ قصته .. فكان الإعجاب بها شبه جماعي .. ولكن .. وآه من كلمة .. لكن .. كل الجالسين .. رأى أن تكتب بشكل من وجهه نظرة .. وتعددت وجهات النظر .. أصابته الحيرة .. يعيد كتابتها على أي من تلك وجهات النظر المتباينة ؟!

عاد إلى بيته بنفس المشقة التي صادفته في المشوار الأول .. وأستمر مستيقظاً ولم ينم .. يراجع وجهات نظر السادة الأدباء .. الكتاب .. بأي وجهه نظر يعيد كتابه قصته .. فكتبها عدة مرات .. أكثر من عشر مرات .. كل مرة بوجهة نظر أحد الأدباء .

وحل ميعاد الندوة التالية وعاد قرأتها مرة .. فلم تنل الإعجاب .. ثم تلاها مره أخرى بالتعديل الآخر .. فلم تنل أيضاً الإعجاب .. وثالثه ورابعة .

تعجب .. لا يعجبهم وجهات نظر بعضهم البعض .. حتى الذين أشاروا إليه بإعادة كتابتها بوجهة نظرهم .. لم يعجبهم ما كتب .. قالوا أن هناك أخطاء إملائية أو نحويه أو في الصياغة .

أعترى وجهه ه . الكآبة .: همس شاب في أذنه قائلا " أنت لازم تعرف أن أي عمل بينكتب .. كل واحد من الكتاب .. بيقرأه من وجهه نظره .. وبيفكر .. لو الفكرة دي جت في دماغه هو .. هيكتبها أزاي ؟ .. ريح نفسك .. وخلي اللي كتبته لنفسك .. أنا كتبت قصه من عشر سنين .. لحد دلوقت ما شفتش النور .. ولا عجبت حد .. وكتبتها ميت مره .. والآخر اعتبرتها ماتت ".

نظر إليه والدموع بدأت تنهمرمن عينيه وقال في نفسه " يعني القصة أتحكم عليها تموت قبل ما تتولد .. والله ما أنا كاتبها".

## بدانة و نحافة .. نحافة تقترب من الموت

.. كما يقال " جلد على عظم " هذا ما رآه عندما كان ضمن

وفد يزور أفريقيا .. عظام بشرية تتحرك .. تنتظـر المـوت جوعاً .. البلاد بها خيرات كثيرة .. أرض خصبة و مياه وفيرة .. إذن من أين هذا الفقر المدقع ؟!

تقابل مع وفد تلك البلد .. كلهم أصحاء .. تكاد ملابسهم تتمزق على أجسادهم من البدانة .. تعجب .. لمـاذا هـؤلاء ولمـاذا أولئك؟!

نسبة الأغنياء الأصحاء لا تتعدى الواحـد بالمئـه .. والبـاقي معتلو الصحة .. هل هناك توزيع سيئ لثروة تلك البلاد ؟

العجب إنهم يطلبون المعونة من كل البلاد لإنقاذ شـعبهم مـن المجاعة ؟! أين ميزانية تلك الدولة .. أليس لها ميزانية ؟!

لماذا تستقبل وفدنا إذن .. وفدنا للتبادل الاقتصادي بين البلـدين .. إذن لهذه الدولة اقتصاد !!

كانت محتلة من المـستعمر .. انـشأ المستـشفيات وعلمهـم سلوكيات التمدن .. كان يأتي لهم بـأفخم أنـواع المـأكولات المعلبة من بلاده . ما الذي حدث إذن ؟! المـستعمر أضـطر للانسحاب لشراسة مقاومة أهل البلد .

أصبح لها حكومة مستقلة .. أذاقت الشعب الأمرين .. هل كان المستعمر أفضل ؟! هل استعمار بقصد الأعمار .. ام الاستفادة بثروات تلك البلدة المدفونة في أراضيها وجبالها .. قالوا من

جبالها ذهب من أنقى أنواع الذهب .. هل أخذه معه .. كلا لقد تركه .. إذن الحكومة استولت عليه وكتب للقلة أن تعيش حياة مترفة على حساب باقي الشعب .

الم يكن الاستعمار أفضل .. لأنه أرحم ؟!

في زيارة أخرى ضمن وفد اقتصادي لأوربا .. سافر معهم .. لاحظ مدى الرفاهية التي يعيشها الشعب .

لفت نظره لافتة لعيادة للتخسيس .. يقف أمامها أعداد غفيرة من رجال ونساء يزنون مئات .. بل آلاف الأطنان .. الكيلو .. ليس له اعتبار .. بل الوزن يكون بالطن .. خُمس طن .. ربع طن .

والعيادة بها طبيب نفسي .. لتخفيف حدة الآم الذين يريدون التخسيس .. فأنهم سيحرمون من خيرات تلك البلد من لحوم وفواكه وطيور ومعلبات وشيكولاتات وألبان دسمة .

أكلوا بالآف الدولارات .. ويتخلصون من آثار ذلك الطعام بالآف .. الآف الدولارات ؟! يريدون أن تتزن أوزانهم دون الحرمان من خيرات بلادهم .. مبدأهم أنهم يعيشون مرة واحدة .. لماذا .. لماذا يُحرمون من أهم مظاهر الحياة !! الطعام .

ماذا لو رحلت تلك الكميات من الطعام التي يفقدونها نتيجة التخسيس و تُصدر لأصحاب الجلود على العظام .. ألا ينعدل

الميزان .. لكن ... سبحان الله وله في ذلك حكم .

**الكراهية** .. يعود بذاكرته إلى زمان الأمن والأمان وتحقيق الأحلام .. البسيطة .. عندما يزور مسئول قريته الصغيرة .. أو المدينة .. عاصمة محافظته الكبيرة .. استقبال حار وحب جارف لأنه سيحل مشكلة .. أو يضع حجر أساس لمشروع جديد يعود عليهم بالنفع .. كلامه صادق ووعوده قابلة للتنفيذ .

حب لا يعرف الكراهية .. إلا في قلة قليلة تعد على أصابع اليد من أصحاب الفكر المناهض .. هم الذين يفهمون أكثر من الناس بتوجهاتهم السياسية .. موجودون منذ الأذل .. يا سلام .. لو كانت الزيارة للرئيس جمال عبد الناصر .. سيتدفق الخير البسيط .. الذي لا أمل للناس في أكثر منه .. ثم زيارة للسادات .. ثم لحسني مبارك .

كان عند الناس قناعة أنهم جميعاً يعملون من آجل خير البلد .. هم ووزرائهم الذي لا يكلون ولا يملون من اللقاءات الجماهيرية .. لا أسرار .. لا ألغاز .. لا أهداف موارية .. صدق .. أمن .. آمان .. خير .. وكما قلنا حتى لو كان بسيط .. فكان الناس هم أيضا قانعين .. لا يطمحون في أكثر من لقمة العيش والحياة

البسيطة الكريمة .

الشرطة تحمي أمن الناس .. هم في خدمة الشعب .. لا يحتكون إلا بالمجرمين .. لا يخافهم الناس يطمأنون لوجودهم .. كم كان يسعده أن يرى خفير الدرك أو عسكري الدرك عندما يعود مع أبيه ليلاً من عمله .. رغم صغر وظيفتهم لكنهم يمثلوا الحكم .. آه .. وألف آه لو احتك بهما أحد من المواطنين .. فتسمع المقولة المشهورة وقت ذاك ..أن زرار البالطو الميري للخفير أو لستره الشرطي يعني قيمة كبيرة .. لو نزعه أحد من مكانه . " كان يومه أسود " .. بالحق والقانون يعامل من تجاوز ضد رجال الشرطة .. هذا المعروف وقتها باستثناء أصحاب الفكر المناهض .. اللذين إذا وقعوا في قبضة الشرطة .. فأنهم بلا محالة .. وراء الشمس .. وهم بحمد الله قلة لا يؤثرون في تعكير صفو غالبية الشعب " اللي ماشي جنب الحيط " .

منذ أن أطلت علينا ألآلفيه الجديدة .. بدأت الجرائد المستقلة والمعارضة .. تسود الحياة في وجوهنا .. مما سبب الكراهية تجاه المسئولين .. صغيرهم وكبيرهم .. زيارة المسئول أو الوزير لبلد ما .. يعني أنه سيسلب منها ميزة تُميز بها أو يمنع عنها خيراً كان في سبيله إليهم .. كل من يكرههم الشعب باقون

.. يخرجون ألسنتهم يغيظونهم حتى نـو اب الـشعب .. فـي مجالس الشورى والشعب .. يتملصون من وعودهم .. بعكـس ما كان من المعتاد في مجالس الأمة .. أو أي مجالس نيابية .. كانوا محترمين .. اليوم أغلبهم تشوبه الـشوائب .. لـذا فهـم مكروهون .. الذين يحبونهم الناس مخلوعون ملعنون .

كراهية .. حلت محل الحب .. عدم الثقة حل محـل الثقـة .. الخوف حل محل الآمان .. لا أحد يعمل لصالح البلد .. الكـل يعمل لصالحة الخاص .. هكذا تؤكد تلك الجرائد .. و لا أحـد يرد عليها .. إذن فالكلام حقيقي !!

كانت فرحته و فرحة الناس بمشاريع عملاقة على مدى السنين الماضية .. مساحة زراعية جديدة في توشكا .. مترو الأنفـاق ..بنية أساسية .. مواني عملاقة .. طرق و كباري .. تـضيع الفرحة عندما تتناولها الجرائد لتقلل من قيمتها و تـشكك فـي الأموال التي أنفقت عليها و مدى السلب و النهـب مـن وراء انجازها .

الكراهية لكل ما يرمز للسلطة بجميـع أوجههـا .. فانتـشرت المظاهرات التي تمثل وجوه للمعارضة .. لم يكن لها مثيلا في تاريخ مصر .. جرأة .. لا مبالاة بما يحدث لهم .. يعتقلون .. يموتون .. لا يهمهم .. المهم أن تخرج الصرخة من حناجرهم

لتؤكد كراهيتهم لكل رموز السلطة .. لماذا هـذه الـصحوة .. لماذا السكوت طويلاً .. هل كان الحال معقولاً ثم أنقلب علـى أعقابه .. و إلى أين ستقودنا تلـك الكراهيـة .. و هـل مـن بصيص أمل أن يعود الحب لممثلي الشعب و أن يهتف معهم و ليس ضدهم .. هل سيكون مصيرنا كالعراق .. تشيع الفوضى و يكره الشعب بعضه البعض و يتخلص من بعـضهم فيمحـى أسم مصر الآمن و الأمان و الاستقرار .. و الخير .. حتى لـو كان بسيطاً .

وجه آخر للحب .. لم نكن نتمنى أن نعيش حتى نستشعره .

## النت آفة الزمان :- ناهيك عن

مضاره التي تفوق فوائده للشباب و ما يحمله من مـواد تفـسد الأخلاقيات .. حلم الشباب في الزواج وماذا يحدث من خلالـه كتنفيس لرغبات شرعيه .. لم يعد الـشباب يتخيـل .. كيـف سيكون بما فيه من متعه و من محظورات .. بعد أن أباح النت رؤية المعاشرة الجنسية .. بصور حيوانية قـد تـأتي بنتيجـة عكسية فيكره الشباب الزواج .

أمـا الطامة الكبرى فهي المباريات بين المتعصبين للأديان ..

كل يحاول الاستهزاء بدين الآخر و يشكك فيه .. فقتال الرموز الدينية من الصحابه و أهل البيت الشريف مما تقشعر له الأبدان .. و قد وجد أبنته تبكي بكاءً حاراً عندما رأت موقع يشين السيدة عائشة و عمر بن الخطاب .. فهم في نظرها رموز لا يشار إليها إلا بالبنان .. الإرهاب .. بكل صورة .. تنتشر أفكاره و افتراءاته و يشكك في قيمة الحياة الدنيوية .. فلم تعد عبارة أعمل لدنياك .. لها محل من الأعراب .. بل هي الآخرة فقط و كأن الدنيا مجرد سلم للوصول للآخرة .. فلا عمل و لا قيمة و لا حب .. كراهية و تنفير فقط .. فالقبور في لهفه لإلقاء العباد بها حتى تضمهم الضمه المفزعة .. العذاب .. النار .. هي فقط النهاية لكل من يحاول أن يحيا حياته سعيداً .. فلابد أن تكون تعيساً فقيراً معدماً .. متخاذلاً .. متجنباً للناس .. حتى تفوز بالجنة ؟

فلا مغفرة و لا رحمة تشمل من يخرج على مزاعمهم و كأنهم أصحاب دين غير الدين الذي عهدناه و أمنا به .

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد .. فالدعوة جريئة لتضيع قنابل .. تلقى بين الناس لا تفرق بين طالح و صالح .. المهم الانتقام من المجتمع الذي لا يتبع أهوائهم .

الكسل يدفع من يستطيع أن يحصل على أي معلومة باستحضار

الموقع المختص .. لا قراءة في كتب .. لا مجهود في الوصول إلى أي معلومة .. لا خيال .. لا إبداع .. لا احتياج لأيدي عاملة .. فقد حل النت محلهم .. إلى أين سيقودنا هذا الاختراع العجيب .

❀❀❀

**المناصب العليا** .. يسعى إليها كل من عنده طموح .. و لكن أي طموح ؟ .. و قد قام الباحث في متطلبات تلك المناصب العليا .. وزير .. رئيس مجلس إدارة .. مدير عام .. هل الكفاءة و التجربة من خلال السنين التي تتراكم حتى يتجاوز الخمسين أم هل لا يشترط السن .. و لا الكفاءة بمفهومها التقليدي .

و قد تقابل مع سكرتير أحد الوزراء .. تقلد تلك الوظيفة منذ كان في الثلاثين من عمره .. يقول أن الوزير كان في الستينات .. يعمل و يثبت وجوده .. لا مجال يشغله عن عمله .. لا فسحة .. لا يصيف مع أسرته .. لا سيارة خاصة .. يكتفي بالسيارة الحكومية المخصصة له .. يطمع في مائة جنية مكافأة غير عادية لمجهوداته غير العادية .. يفرح بها و يكون نصيب

السكرتير خمسة عشر جنيهاً .. أيضا يفرح بها .. لها قيمة .. بالأضافه إلى التقوى التي تلازم شخصيتهم و هي سمة ذلك الزمان .

نفس السكرتير .. لوزير في الألفية الجديدة .. قال أنه وزير هذه الأيام لا يدخل الوزارة عن كفاءة .. و لا تجربة عمرية وظيفية .. في بداية الأربعينات لا يحتاج إلى مرتب الوظيفة و لا بدالتها .. إذن ماذا يريد من تلك الوظيفة المرموقة .. الحساسة التي يتعلق بها مصير آمه و مصالح ناس ؟! الفراسة أكدت أنه يحب أن يكون ملماً بأصول البيزنس و الاتصالات الحديثة و طبعاً تختلف عما ورد في علم الفراسة من أصول .. فراسة العصر .. التي يملك مفاتيح الدخول إليها أناس ذات مواصفات خاصة .. إذن ما هي خصوصية تلك المفاتيح ؟! أكد أنها مفاتيح من ذهب خالص عيار ٢٤ .. و كانت في الأصل معلقة من ذهب .. ثم أعاد تشكيله على هيئة ذلك المفتاح .. و ما الذي يفتحه هذا المفتاح بما يخص الصالح العام ؟

ضحك و قال .. الصالح الخاص أولاً .. إن الوزير كان رجل أعمال مشهوراً .. له شركاته و مشاريعه .. لابد أن تخدم وظيفته مصالحه .. و كما قلت أنه يتنازل عن راتبه .. الذي يتجاوز العشرين ألف جنية .

## رحلة النهاية

حـــار كاتبـــنا أمام مظاهر أدخلت على هذا المجتمع الطيب..مظاهر تخالف حقيقة الأشياء التي جرى العرف عليها ولم تعد النتائج تسبقها مقـــدمات تـــبررها ولا مقـــدمات تؤدي للنتيجة المرجوة..فالدولة ديـــونها ثقـــيلة ممـــا جعـــل أفـــراد الشعب شركاء في تحمل ذلك الـــدين..فيبلغ نصيب الفرد حسب الإحصاءات ٤٤٠ دولار دين خارجـــي و٦٧٥٣ دين داخلي..وتلك الديون اغلبها أموال منهوبة من البنوك..وإعانات دولية للصرف على مشروعات..جملت شكل الدولة ولا تعود على الأفراد.

والمصـــيبة أن الإحصاءات لا تنتهي..كلها تؤكد أننا لسنا بشعب بل بقايا شعب..٧ مليون طالب أي لا ينتجون..و٦ مليون عاطل و١٥ مليون تحت خط الفقر ٦ مليون عانس وملايين متنوعين ما بين أميين ومرضى بأمراض مزمنة لم تعرفها من قبل بلادنا..من سرطان وفشل كلوي وهشاشة عظام وروماتيزم..وعندما تجمع الأرقام لا تجد شعب بالمفهوم الحقيقي..بل بقايا شعب..وكم هو حزين.

وتـــدخل ألفاظ غريبة مثل "الروشنة"..ورروش طحن..وفيديو كليب وتـــيك اواي..معارضـــة وحكـــومة..يمـــين ويســـار..اســـتثمار وخصخصـــة..وحقـــوق إنســـان..وانـــتخابات بالبلطجة..ونواب مـــزورين..مـــنهم من هم من الخدمة العسكرية هاربون..ومنهم تجار ممنوعات وللبضائع محتكرون.

ورســـائل اس ام اس..ورنـــات في المـــوبايلات..سي ديهات محملة بأغنيات..تسد الآذان..ودروس خصوصية..وقصور أصبحت ملكاً لمن كانوا من أدنى الطبقات..وفي أي بي..وصحافة صفراء..وجنون بقـــر وأنفلونـــزا طـــيور..وكأنـــنا لا نعـــيش في دنيانا..وضاقت صـــدورنا..وكثـــرت أمراضـــنا..ونفضـــت جيوبنا..وضاقت بنا أخلاقـــنا..وشوهت أحلامنا..انحسرت آمالنا..اللهم أنت ولينا..ولا تحملنا مالا طاقة لنا به..واهدي أولادنا وكفانا ما حدث.

*******

بعـــد أن انتهى من كتابة أوراقه..بدأ يرقمها ويفهرسها و يبوبها..ثم جمعها وتوجه إلى صديقه الكاتب وعرض عليه ما كتب..فأخذ يقلب

الأوراق في عدم اهتمام ويمر بعينيه على الأوراق مرور الكرام مما أثار حفيظة كاتبنا وقال إليه معترضاً:

- ياه للدرجة دي الشغل مش عاجبك.

فقال صديقه وهو يضغط على جبهته:

- أبداً يا صديقي..بس أنا حاسس أني مشتت..مواضيع من الشـــرق والغرب وما فيش رابط بيربطها..من زمن فات وزمـــن حـــالي وزمـــن جـــاي..يعـــني زي مـــا انـــت بتقول..سمك..لبن..تمر هندي.

قال كاتبنا مؤكداً:

- شيخ هندي..مش تمر هندي.

- ما تفرقش يا صديقي.

كاتبنا وجم ثم اطرق..فقال إليه صديقه:

- أنا ما اقصدش أني اعقدك من اللي كتبته..لكن لازم أكون واقعي وصريح معاك.

- تقصد إيه يا صديقي.

- اقصـــد إن اللي كتبته رغم إن فيه شخص أو شخصيات درامية لكن ما يرقاش لشكل قصة أو أقصوصة..ومجموع اللـــي كتبـــته مـــا يشكلش رواية بالمفهوم التقليدي أو الحـــديث..ولا حـــتى مقالة أدبية أو صحفية..تقدر تقول تأريخ لفترة اجتماعية بصيغة أدبية.
- يعني اقطعه وارميه في الزبالة.

صمت صديقه لحظة ثم قال في تردد:

- يا سيدي..يا سيدي اعتبر اللي كتبته ده تنفيس عن أفكار بتشغلك.
- يعني اسمي العمل تنفيس للكاتب فلان.
- خـــلاص سميها فانتازيا..وبكده تكون خرجت من مأزق الأشكال الأدبية.
- ايـــوة كده..ارفع من روحي المعنوية وطمني..اصل مش معقول أفكار الإنسان تكون هذيان يا صديقي.

نهض الصديق وصافحه وقال في تأكيد:

- خلاص سميها..سمك لبن..تمر هندي..فانتازيا لفلان الفلاني.
- قلت لك ما فيش تمر هندي..فيه شيخ هندي..وعلى فكرة أنا حازوره بكرة لأنه خرجني من الحالة اللي كنت فيها.

ضحك الصديق وقال:

- وحتديله الفلوس عشان يجيب الطلبات اللي طلبها.
- لأ..أنا حاجيب الطلبات وأوصلها لحد عنده.

*******

ذهب إلى مكان الشيخ الهندي..وحدد له مساعده ميعاد الدخول..وما أن حل دوره دخل حاملاً قفص عصافير..بداخله زجاجة مملوءة باللبن..وفي يده الأخرى كمية السمك المطلوبة..وعندما رآها الشيخ..نظر إليه شذراً..ثم امسك بالقفص واخرج الزجاجة واشتم رائحة اللبن الموجود بها وقال إليه ساخراً:

- بقى ده لبن عصافير.

قال له في تلقائية:

- ايوة العصافير اهي في القفص..قعدت ست شهور لحد ما كونت كمية اللبن المطلوبة.

قال الشيخ وقد ابرق عينيه:

- يـــا أســـتاذ ده مـــش لبن عصافير..ريحته مش ريحة لبن عصافير..دي ريحة لبن تاني..انا عارفه وانت عارفه.

كاتبـــنا كـــتم ضحكته..ثم ناوله السمك..وما ان امسك به الشيخ صرخ في وجهه قائلاً:

- اقفـــش..السمك ده اعور يمين..كله اعور يمين..ما فيش ولا واحدة عورة شمال.

اضطرب الكاتب..انه نسي أن يفقئ عيون الأسماك الشمال بالمسمار الـــذي اســـتخدمه من اجل ذلك واستبدلها بالعيون اليمنى..ضحك الشيخ ساخراً وقال له في تأكيد:

- انت بتسخر مني يا أستاذ..انت فاكرني إيه..هندي.

********

الحقـــيقة قد تكون نتيجة لمقدمة هي خيال..وقد يتحول الخيال إلى حقـــيقة أو وهـــم..والحقائق قد تتبدل إلى أوهام إذا ما اصطدمت بأعراف وتقاليد ومفاهيم تعتبر جديدة وتنافي الحقيقة الثابتة..وتتكون حقائـــق أخـــرى ودائماً يكون لها وجه آخر يخالفها..ليس بمفهومها ولكن بمفهوم البشر.

المـــوت حقـــيقة..ندركها ولا نعلم إذا ما كان يدركها من هو مات بالفعـــل..الآخـــرة حـــق وحقـــيقة..ولكـــنها تظل في أذهاننا..لا نـــدركها..لكنها حقيقة..وهذا قول الخالق عز وجل وقوله هو الحق والحقيقة التي لا تغيرها مفاهيم..لأنها الحقيقة الوحيدة الثابتة.

تمت بحمد الله

٢٠٠٦/٢/١٠

رقم الإيداع



* عادل عبد المجيد القنصل.
* مواليد ١٩٤٩/٧/٢ الزقازيق.
* لواء شرطة سابق.
* حاصل على ليسانس الحقوق وليسانس الآداب لغات شرقية
* مؤلف بالإذاعة والتليفزيون و عضو اتحاد الكتاب.
* صدر له مجموعات قصصية:-

وابور أبو النور-قلعة صقر-جدي وجدتي-حياتنا-جلابية راشد-نقطة الصمت مأمورية زفاف عفاف-قيد المحضر ضد عفريت-مفاهيم محتاجة تفهيم ١، ٢ على رصيف سيبس-نور الدين والكلب عنتر.

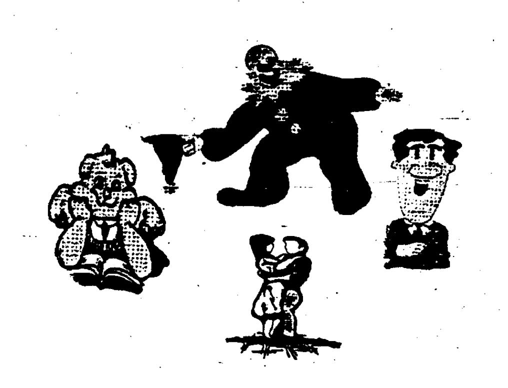
* روايات:-

سجين زفتى-الولد رومانسي-عطر العرافة-البوابة-زهرة الفصول-أرنب سرق عمري-سقطة في زمن السيد ياغمور-جعفري وبديع العنتري أبناء العم وسام ١، ٢، ٣ - الكشف-كمساري قطاع خاص-الحبل والقارب ١- م.صاوي الراوي ١٩٩٥-أطراف مدينة

* قيد النشر:-

أبناء العم وسام ٤-أوراق نادرة-الحبل والقارب ٢ -صمام حربي-أحوال العباد في زمن العناد-حورية البحيرة


بورسعيد حي ٦أكتوبر ع٨٠ ش١٥



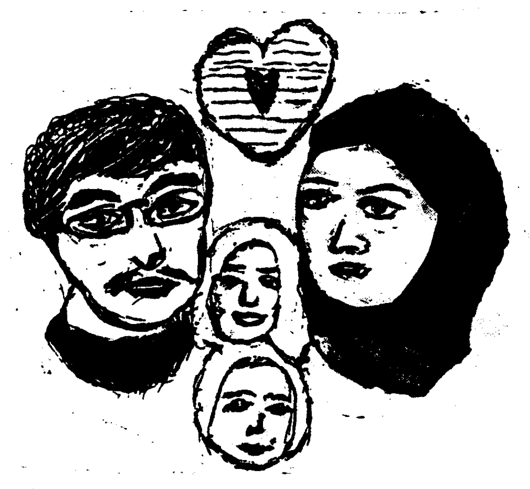
# أحوال العباد في زمن العناد

## الجزء الأول

حكايات على شاكلة المقامات

عاول القنصل

الى اللقاء في العمل القادم باذن الله.



# صمام حربي

# "بلا أمان"

رواية

عادل القنصل